عبد السلام الأسمر
آراؤه وأفكاره في ميزان الشريعة الإسلامية

الوجد وضرب البندير

رأيه في الأموات

فداء الميت

الختم البغدادي

البدع

الاجتماع للذكر

زيارة القبور

الأستاذ/ محمد عز الدين الغرياني



قمت بوضع النسخة الأصلية لكتاب (عبد السلام الأسمر آراؤه وأفكاره في ميزان الشريعة الإسلامية) بعد آخر صفحة من هذا الكتاب الإلكتروني.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه وعثرته الطاهرين

أما بعد...

فما رأيت في بلادنا اختلافا حول شخصية ما كاختلاف الناس في الشيخ عبد السلام الأسمر؛ ففريق يلحقه بالرعيل الأول، والسلف الصالح، والعلماء العاملين، والقدوة المربين، ويعتبره علما من أعلام ليبيا التي تعتز بنسبته إليها، ووجوده على ظهرها، وبقاء آثاره الخالدة العامرة في ربوعها.

وفريق يلحقه بالدراويش والمجاذيب الذين رفع عنهم القلم، والذين وإن جوزنا التبرك بهم وبزيارتهم فلا يؤذن لأحد في الاقتداء بهم، واقتفاء آثارهم، وتتبع سلوكهم.

ومن العجب كل هذا الاختلاف في الشيخ مع أنه يعتبر من أكبر الرموز التي عرفتها الديار الليبية في خدمة العلم والقرآن؛ فمع حياته الطويلة في تدريس العلوم المختلفة الفقهية، واللغوية، والصوفية والفكرية، في مدة تقترب من قرن أو تزيد أو تنقص قليلا أدى معهده، ومدرسته من الخدمات العلمية ما لم تؤده أي مدرسة أخرى سواء من حيث الكثافة، أو من حيث المدة الزمنية الطويلة عبر القرون إلى يوم الناس هذا.

وما من مدرسة، أو معهد فقهي، أو قسم من أقسام اللغة العربية في غرب البلاد، وشرقها، وشمالها وجنوبها إلا وفيه من درس في المعهد الأسمري، أو تتلمذ على من درس فيه مباشرة، أو بفاصل شيخ أو شيخين أو ثلاثة.

ولا يستثنى من هذا الحكم معهد الظهرة بطرابلس، أو الجامعة بالبيضاء، أو أي قسم من أقسام الدراسات الإسلامية في مختلف الجامعات المنتشرة في أرجاء بلادنا.

وما زالت البلاد تعرف رموزا كبيرة ممن تخرجوا في المعهد الأسمري كالشيخ امحمد اجوان، وعلي اجوان، والطيب المصراتي، ومصطفى التريكي، وفرج السوقي، والأستاذ عمر التومي الشيباني أستاذ التربية، والعلوم النفسية وغيرهم من الأساتذة، والمدرسين، والمؤلفين الذين أدوا خدمات جليلة، وساهموا في نشر العلم والفضيلة.

ولا أدعي أنني في هذه الدراسة سأقوم بدراسة حياة الشيخ من ألفها إلى يائها، ومن بدايتها إلى منتهاها، أو أنني سأتعرض لكل آرائه، وأفكاره، بل إنني سأتعرض لآرائه التي يثور النقاش حولها كلما ذكر الشيخ، أو ذكرت وصاياه. وأكثر هذه الآراء سببا في تشعب الأقاويل رأيه في:

1- الوجد وما يصاحبه من ضرب البندير.

2- الأموات حياتهم، وسلوكهم، والانتفاع بهم.

3- فداء الميت وما يلزم عنه من تجويز الاجتماع لأهل الميت، وعمل ما يسمى عندنا بالتاليف.

وسأقوم بدراسة الاحتفالات التي تقام في مختلف مناطق البلاد فيما يسمى بختم البغدادي عند ذكر اعتناء الشيخ بالصلاة على رسول الله -ﷺ- ، وبالتعرض لرأي الشيخ في مخالطة أهل البدع، وفي الاجتماع للذكر، وفي الزيارة.

كل هذا في ضوء الشريعة الإسلامية، ومن خلال هدي نبينا محمد -ﷺ- وحياة صحابته المباركين، والسلف الصالح من التابعين وتابعي التابعين.

وأختم الدراسة بكتابة مقتطفات من وصايا الشيخ، وكتابة وظيفته.

فإن وفقت فمن الله، وما توفيقي إلا به عليه توكلت، وإليه أنيب.

الفصل الأول

اسمه ومولده

تعلمه وتعليمه

كتابته

سماته

وفاته

اسمه:

عبد السلام بن سليم بن محمد بن سالم الفيتوري، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم.

ولقب الفيتوري انتقل إليه من جده الحادي عشر. وسبب تلقيب جده بهذا اللقب أنه لما غزاهم أولاد سعيد الخزومي في طرابلس قتلوا كل من وجدوا منهم، وبقروا بطون الحوامل حتى أفنوا النسل، ولم ينج منهم إلا ولدين: أحدهما اسمه خليفة خبأته أمه في حثالة زيتون واقع في معصرة، والذي يعبر عنه بالفيتورة. والثاني اسمه يوسف خبأته أمه في عوسجة فلقب بالعوسجي، ولقبت ذريته بالعواسج"1".

واشتهر الشيخ عبد السلام بالأسمر لمبيته الليالي سمرا في طاعة الله "2".

مولده:

ولد يوم الإثنين ليلة اثنى عشر من ربيع الأول سنة 880 هـ 1475م بزليطن لأبوين كريمين، وكان وحيد أبويه حيث توفي أبوه وكان عمر الشيخ سنتين وشهرين"3".

تعلمه:

تولى رعايته بعد موت أبيه عمه أبو العباس أحمد بن محمد الفيتوري، ووجهه لحفظ القرآن فحفظه وهو ابن سبع سنين وعلمه مبادئ النحو، والفقه، والتوحيد، والمنطق، وبعد ذلك انتقل به إلى امسلاته حيث تتلمذ على العلامة المربي عبد الواحد الدوكالي فقرأ عليه رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل، والحكم لابن عطاء الله الإسكندري، ودرس عليه التوحيد، والمعقول، ولازمه حتى صار فقيها متفننا"4".

---

1) المنهل العذب 221، مواهب الرحيم 104 – 108

2) مواهب الرحيم 123.

3) رحلة الحشائشي إلى ليبيا 108 مواهب الرحيم 129.

4) مواهب الرحيم 129 - 333.

تعليمه:

تصدر الشيخ للقيام بعملية التعليم، وقدم أنموذجا فريدا في التفاني في خدمة العلم لم يعهد إلا عند السلف الصالح أو من سار على طريقهم من الدعاة المصلحين. قسم فيه دروسه ومحاضراته في مختلف العلوم على الشكل الآتي:

المحاضرة الأولى: في علوم التوحيد، وتبتدئ من الضحى إلى صلاة الظهر.

المحاضرة الثانية: في علوم الفقه، وتبتدئ من الظهر إلى العصر، وهي في الحقيقة متكونة من محاضرتين حيث كان يجعل جزءا من هذه الفترة لرسالة ابن أبي زيد القيرواني والجزء الثاني لتدريس مختصر خليل.

والرسالة كتاب فقهي، ميسر، سهل العبارة يشتمل على العقائد، والعبادات، والأحوال الشخصية، والمعاملات، والجنايات، والفرائض، والأخلاق.

ومختصر خليل هو عمدة المتأخرين من فقهاء المالكية، وعليه تعويلهم في الفتوى حيث بين فيه المشهور، والصحيح، والضعيف، وهو يضم مائة ألف مسألة في مختلف أبواب الفقه، وحجم المختصر يقترب من ثلثي القرآن. وكان يدرس بكلية الشريعة.

ومن أشهر من شرحه الإمام الحطاب (وهو أحد أتباع الشيخ عبد السلام)"1".

وقد اختصر الشيخ خليل كتابه هذا من كتاب جامع الأمهات لابن الحاجب المالكي الذي جمع فيه ستين من أمهات الفقه المالكي كالمدونة، والتهذيب، والتفريع، والبداية، والواضحة، وغيرها من الأمهات.

وهذا الجامع يعتبر بحق من أهم المراجع ومصادر الفقه المالكي ألفه أحد الأئمة المجتهدين في المذهب، وكان الشيخ عبد السلام يحفظ هذا الجامع عن ظهر قلب"2". وقد قمت مع والدي وإخوتي بشرح أجزاء متعددة منه على حسب الدليل والبرهان.

---

1) المرجع السابق 340.

2) ويحفظ أيضا المعيار والمدخل / انظر نفس المرجع السابق 140.

المحاضرة الثالثة: في علوم التربية والسلوك، وتبتدئ من صلاة العصر إلى صلاة المغرب، وكان الكتاب الذي يحاضر فيه هو كتاب الحكم العطائية لابن عطاء الله الإسكندري.

المحاضرة الرابعة: في علوم النحو، والمعقول، وتبتدئ من صلاة المغرب إلى وسط وقت العشاء، وهي في الحقيقة متكونة من محاضرتين؛ محاضرة للنحو، ومحاضرة للمعقول.

كتابته:

تتميز كتابة الشيخ عبد السلام بالفصاحة، والعذوبة، والسهولة، واليسر، ومراعاة مقتضيات الحال، وما يستدعيه المقام من المقال ويرجع السر في هذا التميز إلى أمرين:

أحدهما: أدبي وهو التأثير بالمقطوعات الرائعة التي صاغها الشيخ أبو الحسن الشاذلي في أحزابه المتعددة، وابن عطاء الله الإسكندري في كتابه الحكم الذي بلغ من البلاغة، وفن القول ما لا تجد له مثالا يدانيه في التعبير الصوفي الرفيع.

وقد عكف الشيخ على تلاوة أحزاب الشاذلي، وعلى درس وتدريس كتاب الحكم.

والثاني: ديني حيث صدر الشيخ نفسه للدعوة والإصلاح وسط بيئة فيها الجاهل والعالم، والمبتدئي والمنتهي، والفلاح، والصانع، والراعي.

والداعية الناجح هو الذي يستطيع في محاضراته، ودروسه أن يكلم كل هؤلاء بلغة واحدة ولسان واحد مبين كأنه أوتي جوامع الكلم.

نموذج من كتابة الشيخ:

لعل أفضل نموذج يمثل شخصية عبد السلام الأسمر العالم المتبحر والكاتب القدير الذي يملك أدوات الكتابة هي رسالته التي كتبها إلى أتباعه بإفريقية بمنطقة تمبكتو بمالي.

والتي تعطينا صورة تقريبية لمستوى المحاضرات التي كان يلقيها، وانطباعا لميله إلى التوضيح، والبسط، وتحرير المقال، والاستدلال بالمنقول من السنة، وآثار السلف الصالح، وتجعلنا قريبين من حاسة الذوق الجمالي للشيخ عندما يتحدث فيها عن موضوع الزواج. يقول الشيخ فيها:

وتعلموا النحو؛ فإنه زين الكلام، وجمال المنطق، وقوام اللسان، وهو علم من أشرف العلوم؛ يزيد المرء بعلمه فهما، وفضلا، ويكبره عند العلماء، ولا يتم اللفظ، أو الشعر إلا به. وفي الحديث (أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن).

واعلموا أن من اعتنى به مع حصول فرض العين إلى أن اقتصر على بعضه، وعلم منه ما يصلح به لسانه، واجتنب التوغل فيه فحسن.

ولا ينبغي للنحوي أن يرى نفسه فوق غيره تكبرا، ولا يحل له أن يستهزئ بكلام الغير إذا قارنه اللحن؛ لأن الجل من الناس برابر وأعجام، ومنهم من لا يقرأ ولا يكتب. وقد قال بعضهم: إذا فهمت المعاني فلا مشاحة في الألفاظ.

ولا ينبغي التعمق في المنطق، وقد حرمه الشيخ النووي وجماعته، والمشهور جوازه لمن كمل عقله، وذلك مذهب الجمهور. وقال شيخنا: علم المنطق علم شريف يحتاج إليه في كل شيء، فمن لم يتوغل في النحو والمنطق لا ثقة لي بعلمه؛ لأن من لا يذكرها لا يجوز له القدوم على التصانيف، وقراءة الأحاديث، والتفاسير.

وقد ورد الكلام في فضل العربية، والحث عليه، قال عليه الصلاة والسلام: (رحم الله امرءا أصلح من لسانه). وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : (تعلموا العربية؛ فإنها تزيد في المروءة). وقال شعبة: إذا كان المحدث لا يعرف النحو فهو كالحمار تكون على رأسه مخلاة فيها شعير. وقال الشافعي - رحمه الله - : ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس. وقال بعضهم: زين الرجال النحو، وزين النساء الشحم.

وسبب وضع النحو أن أعرابيا قدم في زمن عمر فقال: من يقرئني مما أنزل الله على محمد؟ فأقرأه رجل {براءة} فقال: أن الله بريء من المشركين ورسوله -بالجر- فقال الأعرابي: وقد بريء الله من رسوله! إن يكن الله بريئا من رسوله فلأبرأ منه. فبلغ عمر مقال الأعرابي فدعاه، فقال: يا أعرابي، أتبرأ من رسول الله -ﷺ- فقص عليه القصة. فقال عمر : ليس هكذا يا أعرابي. قال: فكيف هو يا أمير المؤمنين؟ فقال: {الله بريء من المشركين ورسوله} -بالضم- فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه. فأمر عمر أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود الدؤلي فوضع النحو.

وقد اتفق العلماء على أن النحو محتاج إليه كل فن من فنون العلم.

أما التفسير فلا يجوز لأحد أن يتكلم في كتاب الله تعالى حتى يكون ملما بالنحو؛ فإنه عربي ولا تعرف مقاصده إلا بمعرفة قواعد العربية.

وأما الحديث فقال ابن الصلاح: ينبغي للمحدث أن لا يروي حديثه بقراءة لحان. وقال الأصمعي: إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في قول النبي -ﷺ- : (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) لأنه لم يكن يلحن فمهما رويت ولحنت فيه فقد كذبت عليه.

وقد ذكروا لعلم النحو تفاسير، ومن أحسنها قول ابن بابشات: هو علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله سبحانه، والكلام الفصيح.

والغرض من النحو معرفة صواب الكلام وخطئه وفهم معاني كتاب الله عز وجل وفوائده.

ولا ينبغي لأحد أن يدخل في علم من العلوم حتى يعرف الغرض الذي لأجله ألف؛ ليكون على بصيرة فيما دخل فيه. قال بعض الشيوخ: العلوم ثلاثة: علم نضج وما احترق وهو علم النحو والأصول، وعلم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج واحترق وهو علم الفقه والحديث.

وأوصيكم بالحرص على طلب العلم النافع قراءة، ومطالعة، ومذاكرة؛ لأن علم الدين أفضل ما يكتسبه العبد من المناقب السنية؛ ففي الحديث (قليل العمل مع العلم كثير، وكثير العمل مع الجهل قليل بحسب التوبة والقبول) وقال النبي -ﷺ- حين ذكر عنده رجلان أحدهما عابد جاهل والآخر عالم: (فضل العالم العامل على العابد غير العالم كفضلي على أدناكم).

وأوصيكم بحفظ القرآن والإكثار من تلاوته إن أمكنكم حفظه؛ لأنه من السنة الشريفة، ولتكن قراءتكم له مع التدبر والترتيل والتفهم لمعانيه.

ومن السنة أن يحفظه العبد بحيث يقرأه عن ظهر قلبه بدون النظر إلى المصحف أي يأخذه عن شيخ ماهر به، فإذا تمهر فيه إلى أن يبلغ الغاية القصوى يقرأه كيف شاء خلافا لمن قال: قراءة القرآن في النسخة أكثر ثوابا ممن يقرأه بدون النظر إليه، وفي الحديث: (الماهر في القرآن مع السفرة الكرام البررة) والمراد بالمهارة في الحديث جودة اللفظ وإخراج كل حرف من مخرجه، وجودة الحفظ وهو المناسب هاهنا وإن يراد به كلاهما.

إخواني إقرأوا القرآن واستظهروه؛ فإن الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن. قال بعض الشيوخ: طلبنا خمسا فوجدناها في خمس طلبنا القوة فوجدناها في صلاة الضحى. وطلبنا ضوء القبور فوجدناه في صلاة الليل. وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن. وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم والصدقة. وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة.

وأوصيكم أن تبادروا بصبيانكم إلى المكتب ليتعلموا القرآن وليختلط بلحومهم ودمائهم؛ لأن قراءة الصغير كالنقش في الحجر، وقراءة الكبير كالنقش في الرمل.

ولا يجوز للمؤدب أن يعلم الصبيان في المسجد القرآن؛ فإن فعل يأثم، وكذلك التأديب فيه للصنائع لا يسوغ؛ ففي الحديث: (جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم).

إخواني اختاروا لأنفسكم وأولادكم الزوجات الطيبات ذوات الحسب والنسب، وإياكم وتزوج الشهبرة، والنهبرة، واللهبرة، والهيدرة، واللغوت.

أما الشهبرة فالزرقاء وأما اللهبرة فالطويلة الهزيلة وأما النهبرة فالعجوز المدبرة وأما الهيدرة فالقصيرة القبيحة. وأما اللغوت فذوات الولد من غيرك.

وإياكم وخضراء الدمن؛ فإنها تلد مثل أصلها. وخضراء الدمن هي امرأة أمها قبيحة الفعل والنسب. ويعبر عنها أنها مثل الشجرة نبتت من مزبلة وفي الحديث قال عثمان بن عفان: (أنكحوا النساء على أبائهن وإخوانهن؛ فإني لم أر في ولد أبي بكر أشبه منه بهذه الإمامة)).

وفي حديث أبي عمر بن العلاء قال: قال رجل: لا أتزوج امرأة حتى أنظر ولدي منها. قيل له: كيف ذلك؟ قال: أنظر إلى أبيها وأخيها فإنها تجيئ بأحدهما.

إخواني وإياكم واتباع علم الكيمياء"1" ، والكنوز والجداول، والتبريج، والفال، وتقليب القلوب، وطب الإكوة، واللعب بالنرد والشطرنج كل ذلك من الباطل، وقد نهانا عن ذلك أهل الطريقة العروسية"2" غاية النهي.

ومن الباطل أيضا علم العزائم والأسحار، فربما يكون كفر -أعاذنا الله من ذلك- والعروسي لا يفعل شيئا من المحرمات ولا المكروهات، ولا يقتدي بجاهل لا يعرف العلم

ولا أهله، وأن لا يتعلم إلا من عالم، ناصح، نقي الجيب، قليل الغيب، عدل في الدين، كريم العرض، شريف النسب، كبير السن.

وإياكم والجلوس مع ثمانية أصناف من غير ضرورة، وهم: كذاب، وقتات، ومغتاب، وتارك الصلاة، ومدمن الخمر، وزان، ولواط، وعاق والديه متكبر وربما يجب هجرانهم، لأن الطبع يسري كما في الحديث:

قال ﷺ : (من جلس مع ثمانية أصناف زاده الله ثمانية أشياء:
فمن جلس مع الأمراء زاده الله الكبر وقساوة القلب.
ومن جلس مع الأغنياء زاده الله الحرص في الدنيا.
ومن جلس مع الفقراء زاده الله الشكر والرضا بما قسم له والعزلة أحسن.
ومن جلس مع الصبيان زاده الله لهوا ولعبا.
ومن جلس مع النساء زاده الله شهوة وجهلا.
ومن جلس مع الصالحين زاده الله رغبة في الطاعة.
ومن جلس مع العلماء زاده الله العلم الورع.
ومن جلس مع الفساق زاده الله الذنب والتسويف"3"

سمات الشيخ:

كان متوسط القد إلى الطول أقرب، جميل الصورة. يميل إلى السمرة، أسود العينين والحواجب والهذوب، وجهه كأنه يقطر منه الدهن في عينيه وسم وبهاء، لا تمل من النظر إليه. فصيح اللسان، عذب الكلام، يلبس فوق مرقعته الثياب البيض، ويتعمم بعمامة بيضاء أو خضراء ثم يتنقب بها ويرخي عذبتها.

وكان يباسط إخوانه والمقربين إليه. وله معوال مربع الشكل ينقله في يده وأصله من شجرة الزيتون مكتوب في الوجه الأول منه بسم الله الكافي، وفي الثاني الغني الفتاح، وفي الثالث الرحمن الباقي، وفي الرابع الرحيم الرزاق.

وكان يتختم بخنصر يده اليسرى، ويلبس النعل الأصفر، وأحيـانا يلبس الخف و

---

1) لا يقصد به علم الكيمياء المعروف الآن.
2) نسبة إلى العلامة المربي أحمد بن عروس.
3) انظر القطب الأنور عبد السلام الأسمر للقطعاني 175 - 179.

الجورب من النعل الأصفر"[1]".

وفاة الشيخ:

اختلف العلماء في وفاته فمنهم من أرخها بسنة 981 هـ 1573م"[2]"، وعليه فهو قد عاش مائة عام وعاما فوقها.

وقال الشيخ عبد الرحمن المكي: عاش مائة وعشرين سنة. وقال آخرون: عاش مائة وعشر سنوات. وقال ابن الشيخ عبد السلام -عمران- : إنه عاش مائة وإحدى عشرة سنة"[3]".

وقد رثاه العلماء بعدد من المرثيات، منها مرثية عمران بن جحا التي قال فيها

من لكتــاب الله والشرع بعده ومن لأحـاديث النبي ومسـراه
ومن للفتاوي والعلوم بأسرهــا ومن لتصـاريف الكلام ومعناه
ومن لعلوم النحو والفقه ثم من لتوحيد رب العالمين ومسراه"[4]"

---

1) مواهب الرحيم 122 - 123.
2) رحلة الحشائشي 108.
3) مواهب الرحيم 311.
4) المرجع السابق 312.

الفصل الثاني

الوجد وضرب البندير

الوجد:

1. في اللغة: يقال وجد عليه يجد، ويجُد وجدا، وجدة. وموجدة غضب، ووجد به وجدا في الحب، ووجدت به في الحزن.

ففي الحب وجد، وفي الغضب موجدة، وفي الظفر وجدان"1".

في الاصطلاح: صفة حاصلة للنفس من سرور، أو حزن، أو نشاط، أو كسل"2" وهي نتيجة لأفعال الإنسان وأعماله.

2. صور من الوجد في القرآن الكريم

صورت عدد من الآيات القرآنية حالة الوجد، وبينت آثاره السلوكية التي قد تترتب عليه، ومن هذه الآيات: قوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ)"3"

فهذه الآية تحدثت عن الإعجاب الذي سيطر على النسوة، وعن الغيبة التي حصلت لهن عن أنفسهن عندما شاهدن جمال يوسف عليه السلام، وبينت سيطرة هذا الحال والوجد بهن حتى إنهن قطعن أيديهن وهن لا يشعرن.

قوله تعالى: (فتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف)"4"

فهذه الآية تحدثت عن المحبة المفرطة التي ملأت قلب يعقوب عليه السلام. هذه المحبة التي أنسته السؤال عن ابنه الثاني ساعة أن أخبر بفقده فلم يتأسف و لم يتحزن عليه لسيطرة محبة يوسف عليه السلام على قلبه، وغيبته فيها"5".

---

1) انظر مختار القاموس والمصباح المنير مادة وجد، ومدارج السالكين 70/3.
2) دراسات في التصوف الإسلامي 34.
3) يوسف 31.
4) يوسف 84.
5) انظر مدارج السالكين 210/3.

قوله تعالى: (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا)"1".

فهذه الآية صورت الرعب الذي يحصل في النفس للرائي لو تمت مشاهدته لأهل الكهف، وبينت آثاره السلوكية القوية في حركة الهروب والفرار"2"

3. حكم الوجد:

الوجد إذا كان بسبب مشروع كالذكر وتلاوة القرآن لا حرج فيه، ولا إثم على من يرد عليه إذا صدر منه ما يوجب العقوبة واللوم. قال الشيخ ابن تيمية -رحمه الله تعالى- : ما يرد على القلوب مما يسمونه السكر، والفناء"3"، ونحو ذلك من الأمور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها فإنه إذا لم يكن السبب محضورا لم يكن السكران مذموما بل معذورا؛ فإن السكران بلا تمييز ... وما صدر عنه في حال زوال عقله فهو فيه معذور ؛ لأن القلم مرفوع عن كل من زال عقله بسبب غير محرم كالمغمى عنه، والمجنون، ونحوهما"4".

ولهذا لما سئل الإمام أحمد عن هذا فقال: قرئ القرآن على يحيى بن سعيد القطان فغشى عليه، ولو قدر أحد أن يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى بن سعيد؛ فما رأيت أعقل منه، ونحو هذا، وقد نقل عن الشافعي أنه أصابه ذلك، وعلي بن
الفضيل بن عياض قصته مشهورة. وبالجملة فهذا كثير لا يستراب في صدقه"5".

قال ابن عطاء الله الإسكندري في حكمه: متى وردت الواردات الإلهية إليك هدمت العوائد عليك... الوارد يأتي من حضرة قهار، لأجل ذلك لا يصادفه شيء إلا دمغه.

وقال الشيخ زروق : الواردات الإلهية هي ما يتجلى للقلوب من المعارف التي تبرز عندها الحقائق، فإذا أوردت هذه الواردات على القلب لم يبق فيه متسع لغيرها فتأخذ بمجامعه، وتستوي في كلية العبد فينفث بها طوعا أو كرها لخلوه عما سواها ... فإذا دخل

---

1) الكهف 31.
2) انظر المعيار للونشريسي 106/11.
3) شهود حق بلا خلق فليس إلا هو وحده وذلك عين الغيبة عن كل شيء به/ شرح زروق للحكم العطائية 273.
4) مجموع فتاوي ابن تيمية 10/11 - 11.
5) المرجع السابق 8/110.

الرب القلب خرب مما سواه، فلا يتأتى له جري مع المعتاد، ولا تصرف بالأسباب"[1]".

تحليل رأي الشيخ عبد السلام في الوجد وفي علاجه

يمكن الوقوف على رأي الشيخ في حالة الوجد وفي كيفية علاجها حين تحدثه عن الوظيفة حيث يقول: ولا تزالون تذكرون حتى تظهر فيها الخمرة وهي السكر، والسكر هو الغيبة عما سوى الله تعالى"[2]". وعلامة ذلك بينة لا تخفي على أحد إلا على أعمى البصيرة - والعياذ بالله - ثم بعد ظهور خمرتها اضربوا البنادير وقولوا كلامي، وتأملوا معناه. وقال قبل هذه الجملة:

ولا تضربوها إلا بعد أن تظهر الخمرة، ولا تضربوها إلا وأنتم طاهرون... وإياكم ثم إياكم أن تضربوا البنادير لأجل طلب الدنيا؛ فإن ذلك يضركم مع الله مضرة شديدة. ولا أرضى ذلك ولا من يفعله، ومن خالف فلا يلوم إلا نفسه"[3]".

التحليل

يرى الشيخ عبد السلام أنه ينظر لصاحب الوجد بنظرين:

النظر الأول أنه في حالة استحواذ للنشوة، والفرح، والسرور عليه، وأن علاج هذه الحالة والتعامل معها يتم بتعبير حركي وقولي يتم من خلاله استفراغ الحالة الوجدانية.

النظر الثاني أنه غافل عما سوى الله تعالى من الموجودات الخارجية.

فهل تقر الشريعة الإسلامية بضرب الدف في حالة السرور؟ وما العلاقة بين هذا الضرب وبين الانفعالات النفسية؟ وهل تسلم السنة بتنبيه الغافل عن السوي؟

الحالة الأولى: ضرب الدف في حالة السرور أصله حديث مسلم الذي روته عائشة والذي

---

1) شرح الحكم العطائية 343 - 344.
2) وفي العادة تصاحب هذه الغيبة اللذة و النشوة وسقوط التمالك بالطرب / انظر مدارج السالكين 3/305 – 306.
3) مواهب الرحيم 280 - 281.

جاء فيه: دخل عليّ أبو بكر وعندي جاريتان من جوار الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث قالت: وليستا بمغنيتين فقال أبو بكر: أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ ؟ وذلك في يوم عيد. فقال رسول الله ﷺ : (يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا).

وفي رواية أخرى له: (وفيه جاريتان تلعبان بدف).
وفي رواية أخرى: (تغنيان، وتضربان)"1".

وهذا الحديث درسه الفقهاء فتوسعوا في لفظ عيد الوارد فيه فأدخلوا فيه مناسبات الأعراس، ومناسبات الختان بجامع الفرح في كل وأجازوا فيها بالتالي ضرب الدفوف"2".

وتوسع فيه فقهاء الصوفية فأدخلوا فيه السرور بنعم الله الواردة على القلوب كما قال تعالى : (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا)"3".

قال ابن عطاء الله: ورود الفاقات أعياد المريدين. وقال شيخ زروق - من فقهاء المالكية - : وخير أوقاتك وقت تشهد فيه فاقتك، وترد فيه إلى وجود زلتك؛ لأن ذلك يقطعك عن غيره، ويردك إليه. وهو رأس الفوائد، وأعياد العمر عند أهل الله تعالى؛ لأن العيد سمي عيدا لأنه يعود على الناس بالأفراح ويعودون فيه على أهاليهم بالإنفاق، ويتكرر عليهم وجوده، وتظهر على كل واحد فيه حلية غناه، وكماله بالزينة وغيرها، وكذلك الفاقة هي زينة المريدين، وقائدته يفطر فيها على تمر المشاهدة من صوم المجاهدة.

قـــالوا غدا العيد مـــاذا أنت لابسه ... فقلت خلعة ســاق حبـــه جرعـــا
فقر وصبر همـا ثوبـــاي تحتهمـــا ... قلب يرى الفـاقة الأعيـاد والجمعـا
أحرى الملابس أن تلقي الحبيب به ... يـوم التزاور في الثوب الذي خلعـا
الدهــر لي مأتم إن غبت يـا أملـي ... والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا"4"

والشاهد أن الحديث الشريف السابق الذي رواه مسلم يقرؤه رجل الفقه فيستنبط منه

1) مسلم - النووي 182/6 – 184.
2) النووي على مسلم 183/6 – 184. وأيد هذا القياس بعض الأحاديث.
3) يونس 58.
4) شرح الحكم العطائية 288 - 289.

جواز ضرب الدف في حالة السرور، ويقرؤه رجل الفكر فيأخذ منه فلسفة تمييز يوم العيد على سائر الأيام، وتمييز هذه الأمة على باقي الأمم. ويقرؤه عالم النفس فيرى فيه أن ضرب الدف والتغني بما صار بين المسلمين بالأمس من حروب بمثابة تطهير. إذ عن طريقه سيتم تفريغ الانفعالات القوية عند الطفل بحيث يستطيع بعدهما أن يتوافق مع المطالب الاجتماعية بشكل أكثر يسر"1".

وعلم التربية والسلوك أو ما يسمى بالتصوف فرع من فروع علم النفس سبق أئمته وعلماؤه علم النفس الحديث في التنبه إلى أثر الحركة الفنية - ضرب الدف - في التخلص من استحواذ الانفعالات الوجدانية (وكان الشيخ عبد السلام الأسمر لا يستريح عند هيجان الحال وإحراق الوجد إلا بسماع الدف)"2".

وهنا يجب أن ننبه على شيئين:

1 - إن فعل الشيخ عبد السلام الأسمر في ضرب الدف - كما علمت - غير خارج على السنة، ولا داخل في البدعة بأي تحليل تحللها.

2 - انسجام هذا الفعل مع وصايا الشيخ حين يقول : ولا منجا أنجى لكم من سنة رسول الله ﷺ فعليكم باتباع السنة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام"3".

فقوله أنجى لكم سواء في حالة الحضور أم في حالة الغيبة. وضرب الدف للضعيف وسيلة من وسائل النجاة من استحواذ الوارد على القلب.

ومن الموافقات العجيبة في هذا المقام أن الحديث الشريف السابق فيه جاريتان - وهما من دون سن البلوغ، وهما رمز الضعف - تضربان بالدف في حالة السرور بحضور أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- مع إقرار المربي الأكبر رسول الله - ﷺ - بذلك.

والشيخ عبد السلام الأسمر أباح ضرب الدف للمريدين الذين يصابون بحالات السكر والغيبة عن السوى ، والغيبة رمز الضعف أيضا.

---

1) انظر منهج رياض الأطفال لمعتوق المثناني 184 , 205. وسيكولوجية اللعب 275.
2) مواهب الرحيم 168.
3) المرجع السابق 260

موازنة بين رأي الشيخ ابن تيمية والشيخ عبد السلام الأسمر:

من خلال النصوص السابقة للشيخين يمكن أن نستنتج الآتي:

1 - يعترف الشيخان بالوجد كحقيقة مسلمة قد تعرض للمسلم في حالة تأدية بعض العبادات.

2 - يتفق الشيخان أن الوارد إذا كان سببه شرعيا كالذكر وتلاوة القرآن وصدر من صاحبه شيء يناف الشريعة فلا لوم عليه. أما إذا كان السبب غير شرعي فيحذر منه وفيه الحرج يقول الشيخ عبد السلام: وخذوا حذركم من الحركة النفسانية في الحضرة"1" وهي أن يترك الفقير يهتز وقلبه محشو بالأكوان فافهموا؛ فإن النفس لها طرب شديد عند اعتدال الأصوات، فإذا مالت في الحضرة إلى استماع الأصوات فردوا قلوبكم للذي خلق الأصوات سبحانه وتعالى"2".

3 - ينفرد الشيخ عبد السلام باعتباره تصدر للتربية بمعالجة هذه الحالة بما يراه يتفق والشريعة الإسلامية، والمعالجة - كما سبق - تتم بحركة فنية - ضرب الدف - يتم من خلالها استفراغ الحالة الوجدانية.

الحالة الثانية - حالة الغفلة"3"

تصوير الحالة:

يصاب بعض السالكين بحالة الفناء والغيبة عن شهود السوى وهم (لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر الله، وعبادته، ومحبته، وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد، وترى غير ما تقصد لا يخطر بقلوبهم غير الله بل ولا يشعرون، كما قيل في قوله تعالى : (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها) قالوا فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى.

وهذا كثير يعرض لمن فقمه أمر من الأمور: إما حب، وإما خوف، وإما رجاء،

---

1) يقصد بها الاجتماع في الذكر.

2) المرجع السابق 279 - 280.

3) وهي النظر الثاني من تحليل رأي الشيخ عبد السلام.

يبقي قلبه منصرفا عن كل شيء إلا قد أحبه أو خافه، أو طلبه بحيث يكون عند استغراقه في ذلك لا يشعر بغيره"[1]".

جاء في الرواية أن معاوية بن أبي سفيان كان يحادث يزيد بن شجرة، ويزيد مقبل على حديثه بكلتيه فصك جبينه حجر عائر فأدماه، فجعلت الدماء تسيل على وجهه، ولحيته، وثوبه. وغير ذلك فلم يتغير عما كان عليه من الاستماع، فقال له معاوية: لله أنت يابن شجرة، أما ترى ما نزل بك؟ قال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا دم يسيل على ثوبك. قال: أعتق ما أملك إن لم يكن حديث أمير المؤمنين ألهانني حتى غمر فكري، وغطى على قلبي. فما شعرت بشيء حتى نبهني أمير المؤمنين"[2]".

فإذا قوي على صاحب الفناء هذا فإنه يغيب بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته حتى يفني من لم يكن وهي المخلوقات المعبدة ممن سواه، ويبقى من لم يزل وهو الرب تعالى.

والمراد فناؤها في شهود العبد، وفناؤه عن أن يدركها أو يشهدها. وإذا قوي هذا ضعف المحب حتى اضطراب في تمييزه فقد يظن أنه هو محبوبه، كما يذكر أن رجلا ألقى بنفسه في اليم فألقى محبه نفسه خلفه، فقال: أنا وقعت. فما أوقعك خلفي؟ قال: غبت بك عني فظننت أنك أني"[3]".

وصاحب الوجد المشروع قد يصعق أو يصيح صياحا عظيما، أو يضطرب اضطرابا كثيرا فيتولد عن ذلك ترك صلاة واجبة أو تعد على بعض الناس، وهو معذور في ذلك؛ فإن هذا في هذه الحال بمنزلة عقلاء المجانين، المولهين الذين حصل لهم الجنون مع أنهم صالحون وأهل المعرفة إما لقوة الوارد الذي ورد عليهم، وإما لضعف قلوبهم عن حمله، وإما لانحراف أمزجتهم وقوة الخلط، وإما لعارض من الجن، فإن هؤلاء كما بلغنا عن الإمام أبي محمد المقدسي حيت سئل عنهم فقال : هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم، وأسقط ما فرض بما سلب"[4]".

---

1) مجموع فتاوي ابن تيمية 219/10.
2) مروج الذهب 212/2.
3) مجموع فتاوي ابن تيمية 219/10.
4) المرجع السابق 349/10.

وقال ابن القيم: قد يكون سببه قوة الفرح بإدراك المحبوب بحيث يختلط كلامه وتتغير أفعاله فيزول عقله. ويعربد أعظم من عربدة شارب الخمر، وربما قتله سكر هذا الفرح لسبب طبيعي وهو انبساط دم القلب وهلة واحدة انبساطا غير معتاد...ومن هذا قول سكران الفرح يجد راحلته في المفازة بعد أن استشعر الموت: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك) أخطأ من شدة فرحه. وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب"1".

تذكير الغافل

جاءت الشريعة الإسلامية بتذكير الغافل في العبادة كالإمام في الصلاة جعلت تذكيره يكون إما بالتسبيح وهذا بالنسبة إلى الرجال. أو بالتصفيق - وهو حركة من الحركات - بالنسبة إلى النساء في غير المشهور من مذهب الإمام مالك"2". فقد روى سهل بن سعد أن رسول الله - ﷺ - ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم، فحانت الصلاة، فجاء المؤذن إلى أبي بكر فقال : أتصلي بالناس فأقيم؟ قال: نعم. قال: فصلى أبو بكر، فجاء رسول الله ﷺ والناس في الصلاة، فتخلص حتى وقف في الصف، فصفق الناس، وكان أبو بكر لا يلتفت في الصلاة، فلما أكثر الناس التصفيق التفت فرأى رسول الله ﷺ فأشار إليه رسول الله ﷺ أن امكث مكانك، فرفع أبو بكر يديه فحمد الله على ما أمره به رسول الله ﷺ من ذلك ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف، وتقدم النبي ﷺ فصلى ثم انصرف، فقال: (يا أبا بكر ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟) فقال أبو بكر: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: (من نابه شيء في صلاته فليسبح؛ فإنه إذا سبح التفت إليه، وإنما التصفيق للنساء)"3".

ويؤخذ من هذا الحديث:

1 - أن الإمام إذا غفل وسها لا يترك في غفلته بل لابد للآخرين من التدخل، وكذلك الشأن في كل عبادة غفل فيها صاحبها (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)"4".

وهذا ما فهمه الشيخ الأسمر عبد السلام حينما أمر بمخاطبة صاحب الوجد الغافل

---

1) مدارج السالكين 307/3.
2) الشرح الكبير 282/1 ونيل الأوطار 364/2 – 365.
3) متفق عليه/ منتقى الأخبار مع نيل الأوطار 167/3 – 168.
4) الذاريات 55.

عن السوى وعن الموجودات الأخرى. واختار الشيخ لأتباعه أن يتلوا قصائده للمصاب بحالات الوجد. والسبب في هذا الطلب، ودوافعه، وآثاره تصوره عبارات الإمام ابن القيم الآتية أجمل تصوير.

يقول: والذي يريده الشيخ وأمثاله بهذا أن المحب الصادق يمتلئ قلبه بالمحبة فتكون هي الغالبة عليه. فتحمله غلبتها وتمكنها على أن لا يغفل عن محبوبه، ولا يشتغل قلبه بغيره ألبتة، فيسمع من الفارغين"1" ما ورد في حق المحبين، ويسمع منه أوصاف حبيبه والخبر عنه فلا يكاد يصبر على أن يسمع ذلك أبدا لضيق قلبه عن سماعه من قلب غافل، وإلا فلو سمع هذا الخبر ممن هو شريكه في شجوه، وأنيسه في طريقه، وصاحبه في سفره لما ضاق عنه بل لاتسع - أي القلب - له غاية الاتساع"2". وفي الاتساع قوة، وهو المطلوب في إزالة حالة الضعف عن صاحب الوجد

وجـاء حديث لا يمل سماعه	شـهي إلينـا نثـرة ونظـامــه
إذا ذكرته النفس زال عناؤها	وزال عن القلب المعني قتامها

2 - ومن لطائف التذكير بالتصفيق لمن فهم من الحديث مشروعيته أن الحركة الاضطرارية في العبادة لا لوم فيها، ولا حرج عليها، وأما الحركة الاختيارية فينهي عنها. يقول الشيخ عبد السلام الأسمر في وصاياه عن الوظيفة - الاجتماع للذكر - : ولا تصفقوا فيها اختيارا، ولا تضربوا بأرجلكم الأرض اختيارا"3".

الفرح بالوجد عند الشيخ عبد السلام

ينهى الشيخ عبد السلام صاحب الوجد أن يفرح بوجده وبالوارد الذي يرد إليه، يقول في وصاياه:

والرؤيا الصالحة كرامة من الله تعالى مثل رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والأولياء، وشبه ذلك، ولا تفرحوا بها، ولا بمكاشفة، ولا بمحاضرة، ولا بمشاهدة، ولا بوجد. ولا بتواجد. ولا بخمرة. ولا بسكر، ولا بطيران في الهواء، ولا بخرق العادة. ولكن

---

1) لعله يقصد الفارغين من الوجد.

2) مدارج السالكين 311/3.

3) مواهب الرحيم 278 - 279.

يكون فرحكم بالذي خلقكم من العدم، وخلق لكم ذلك الحال الواقع بكم، ومن فرح بشيء سوى الله من هذه الدرجات وشبهها فإنه جاهل بالله تعالى؛ لأنه فرح بغير الله تعالى، ومن أحب شيئا وفرح به فهو عبد له"1"، والسبب في هذا النهي - كما يقول ابن القيم - :

1. إن السرور، والفرح يبسط النفس، وينميها، وينسيها عيوبها وآفاتها، ونقائصها؛ إذ لو استحضرت النفس هذا النقص منها لشغلها عن الفرح.

2. إن الفرح بالنعمة ينسي صاحبها تذكر المنعم فينشغل بها عنه حتى يغيب بها عنها، وهنا يكون المكر إليه أقرب من اليد للفم.

و لله كم هاهنا من مسترد منه ما وهب له عزة وحكمة. وربما كان ذلك رحمة به؛ إذ لو استمر على تلك الولاية لخيف عليه من الطغيان كما قال الله تعالى: (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى)"2" فإذا كان هذا غني بالحطام الفاني فكيف بالغني بما هو أعلى من ذلك وأكثر.

فصاحب هذا إن لم يصحبه حذر المكر خيف عليه أن يسلبه، وينحط عنه.

والمكر الذي يخاف عليه منه أن يغيب الله سبحانه عنه شهود أوليته في ذلك ومنته وفضله، وأنه محض منته منه، وأنه به وحده، ومنه وحده فيغيب عن شهود حقيقة قوله تعالى: (وما بكم من نعمة فمن الله)"3" ...

ومما يدل على أن الفرح من أسباب المكر ما لم يقارنه خوف قوله تعالى: (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون)"4" وقال في قارون: (لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين)"5".

فالفرح متى كان بالله وبما منّ الله مقارنا للخوف والحذر لم يضر صاحبه، ومتى

---

1) المرجع السابق 274.
2) العلق 6 - 7.
3) النحل 53.
4) الأنعام 45.
5) القصص 76.

خلا عن ذلك ضره ولا بد"[1]".

فالفرح الذي ينهي عنه الشيخ عبد السلام إنما هو الفرح المطلق والفرح الذي تجوزه الآية القرآنية (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) هو الفرح المقيد بخوف المكر؛ إذ القرءان يفسر بعضه بعضا.

وغرض الشيخ عبد السلام أن يكون تلاميذه مع الله كالعبيد إذا حضروا بين يدي سيدهم فإنهم ينسون ما هم فيه من الجاه والقرب الذي اختصوا به عن غيرهم باستغراقهم في أدب العبودية وحقها وملاحظتهم لسيدهم خوفا أن يشير إليهم بأمر فيجدهم غافلين عن ملاحظته.

موازنة بين رأيي الشيخ ابن القيم والشيخ عبد السلام:

من خلال النصوص المتقدمة للشيخين يمكن أن نستنتج الآتي:

1. يتفق الشيخان على أن الإنسان المسلم قد ترد إليه موارد الفرح والسرور والانبساط كنتيجة من نتائج الالتزام والتمسك بالتقوى.

2. يتفق الشيخان أن الفرح المطلق يجعل صاحبه عبدا له قد ينسيه عيوبه ومساويه، وقد ينسيه ربه عز وجل.

3. يدعو الشيخ عبد السلام أتباعه إلى أعلى درجات الفرح وهو الفرح بالله عز وجل، وهذا الفرح - كما يقول ابن القيم - من أعظم مقامات الإيمان، فيفرح به، إذ هو عبده ومحبه، ويفرح به سبحانه ربا، وإلها، ومنعما، ومربيا أشد من فرح العبد بسيده المخلوق المشفق عليه، القادر على ما يريده العبد ويطلبه منه، المتنوع في الإحسان إليه والذب عنه"[2]"

الفرق بين الحال الإيماني والحال الشيطاني:

فرق العلماء بين الحالين بالسبب الذي يؤدي إليهما؛ فالحال الإيماني ثمرة من ثمار

---

1) مدارج السالكين 3/107 – 109.

2) المرجع السابق 3/106.

المتابعة لله ورسوله ﷺ والالتزام بالشريعة الإسلامية.

والحال الشيطاني سببه إما الشرك والكفر بالله ، أو الفجور والانحراف عن طاعة الله. فهو ناشيء من القرب من الشياطين والاتصال بهم، ومشابهتهم"1" (ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه)"2".

يقول الشيخ عبد السلام الأسمر: وإياكم والاستدراج واتباع نزغات الشيطان اللعين في اليقظة والنوم؛ فإنه يغري المؤمن بالأحلام الكاذبة، والصادقة، والتأثيرات، وهي التي يقول عنها العامة العربون، ويعمل مكاشفات، وقضاء حاجات، وارتعاش في الأذكار، وحضرات، وعربونا في الناس، وطيرانا في الهواء، ومشيا على الماء، وصحبة الناس، وغير ذلك. فهذه كلها من علامات الاستدراج إذا وقعت من المغرور، وهو الذي يكون منكبا على الدنيا انكباب الكلب على الجيفة، تابعا لهوى نفسه، مجاهرا بالبدع المحرمة، طائعا للناس، لم يعبأ بفرض، ولا سنة، ولا أدب. فمن كان هكذا وظهرت منه العلامات المذكورة فإنه مستدرج لا محالة، وتلك العلامات لا تكون ربانية إلا إذا خرجت من رجل تابع للكتاب والسنة، زاهد في الدنيا، مستغرق أوقاته بالذكر والعبادة بالشوق، والوجد، والمحبة قد مزقت قلبه وقلبه غائب عن الخلق. متعلق بالحق سبحانه وتعالى فمن كان هكذا وصدرت منه تلك العلامات فإنها ربانية"3".

تنبيه:

يحتج بعض المعارضين للحركة الاضطرارية في حالة الوجد بفتوى للإمام مالك رواها عياض التنيسي قال: كنا عند مالك وأصحابه حوله فقال رجل من أهل نصيبين: يا أبا عبد الله عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيرا، ثم يأخذون في القصائد، ثم يقومون فيرقصون؟ فقال مالك: أصبيان هم؟ قال: لا قال: أمجانين هم؟ قال: قوم مشايخ، وغير ذلك عقلاء. فقال مالك: ما سمعت أحدا من أهل الإسلام يفعل هذا"4".

وهذه الفتوى - إن صحت - لا تنطبق على حال الوجد الذي يحكي عنه الشيخ عبد

---

1) الروح 359.
2) الأنعام 138.
3) مواهب الرحيم 272 - 273.
4) معيار الونشريسي 41/11.

السلام، وفيها مجال للاختلاف في الرأي، ونوع من الإبهام في الاستدلال؛ أما أنها لا تنطبق على حال الاجتماع الذي يدعو إليه الشيخ عبد السلام والذي قد يحدث فيه الوجد لسببين:

1 - إن الشيخ شرط لهذا الاجتماع فراغ البطن من الطعام إلا بقدر ما يسد الجوع بحيث يستطيع الإنسان القيام والقعود. وعلله بأن المأكول يصير نجسا في الجوف والنجس ظلمة والذكر نور، والظلمة والنور لا يجتمعان في مكان واحد. والجوع يقهر النفس والشيطان، وفيه صحة للدين وخصوصا إذا كان الإنسان صائما وفيه صحة للجسد"[1]".

2 - إن الشيخ في حكم الرقص لا يخالف الإمام مالك، يقول الشيخ في وصاياه: وإياكم أن تفعلوا العرس بشيء من المحرمات مثل الغناء والزغاريت، والصراخ، والتصفيق، والرقص، والمزامير كالعود، والرباب، والشبابة، والفحل، والزكرة، والطبل فهذه كلها حرام في العرس. وغيره"[2]".

أما أن فيها نوعا من الإبهام في الاستدلال فالمحتج لم يبين لنا نوع القصيد الذي كان شائعا في ذلك الزمن هل هو قصيد ديني مملوء بالثناء على الله والصلاة على رسوله - ﷺ - وفيه التزهيد في الدنيا ومساوي الأخلاق، والترغيب في الآخرة، والذي قد سمعه رسول الله ﷺ والصحابة وسلمه الأئمة والذي قد يحدث معه الوجد المشروع. وسيأتي الكلام عليه حين التحدث عن الختم البغدادي. أم هي قصائد الحب والهيام، والغرام، وتصوير الأشواق.

والظاهر من فتوى الإمام مالك أن هؤلاء القوم في حالة وعي، وخلو من الوجد المحض كما توحي به عبارة (ثم يقومون فيرقصون) على أن الرقص عند بعض الأئمة لا شيء فيه قال الإمام البلقيني: ما يصدر عنهم من الرقص الذي هو عند جمع ليس بمحرم ولا مكروه؛ لأنه مجرد حركات عن استقامة واعوجاج، ولأنه عليه الصلاة والسلام أقر الحبشة عليه في مسجده يوم العيد"[3]"

---

1) انظر مواهب الرحيم 280.

2) المرجع السابق 267 – 268.

3) المرجع السابق 67.

الفصل الثالث

رأيه في الأموات

عقيدته في الأموات:

1. الموت هو انتقال من حال إلى حال، ومن هيئة إلى أخرى.

لا علاقة له بالعدم إلا من حيث هذا الجسم الترابي الذي يفنى ويتلاشى في بعض الأموات. ولا يتعرض جميع الأموات لمثل هذا؛ فإن الشهداء بعد قتلهم (أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم)"1" ورغم هذا فإنه قد غيبت عنا حياتهم بحيث لا نراهم ولا ندركهم وإن كانوا موجودين كالملائكة فإنهم أحياء موجودون يتحركون، ويتصرفون، ويفعلون ما يؤمرون مع أننا لا نراهم، وحال الروح أشبه بحال الملائكة.

2. وقد جاءت الأدلة من القرآن، والسنة، والآثار على أن الروح ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل، وتتصل وتنفصل. وقد وصفها الله بالدخول، والخروج، والقبض، والتوفي، والرجوع، وصعودها إلى السماء، وفتح أبوابها لها، وغلقها عنها.

قال الله تعالى: (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم)"2".

وقال: (يأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي)"3".

وهذا يقال لها عند المفارقة للجسد.

وقال: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها)"4"

فأخبر أنه سوى النفس كما أخبر أنه سوى البدن في قوله: (الذي خلقك فسواك

---

1) آل عمران 169.
2) الأنعام 93.
3) الفجر 30 - 32.
4) الشمس 8.

فعدلك)"1".

فهو سبحانه سوى نفس الإنسان كما سوى بدنه.

وقال تعالى: (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى)"2".

فوصفها بالتوفي، والإمساك، والإرسال.

وقد أخبر النبي ﷺ أن بصر الميت يتبع نفسه إذا قبضت. وأنها تصعد إلى السماء فيصلي عليها كل ملك لله بين السماء والأرض. وأنها تفتح لها أبواب السماء، فتصعد من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى بين يدي الله.

وأن نسمة المؤمن - وهي روحه - طائر يعلق في شجرة الجنة"3".

3. ويعتقد الشيخ عبد السلام الأسمر فوق ما تقدم أن الأموات قد يقومون بالتعليم، والإرشاد، والتربية، وأنهم قد يخرجون من قبورهم ويفعلون، ويتحركون، وينتقلون"3". فهل تقر الشريعة الإسلامية هذه العقيدة، وتسلم بصحتها، وترى أنها حق وصواب؟.

أ- قيام الميت بالتعليم:

من الأدلة التي يستدل بها على قيام الميت بالتعليم للحي قصة الإسراء والمعراج التي التقى فيها الرسول - ﷺ - بالأنبياء في بيت المقدس، وفي السماوات العلى، وفيها حين التقى بموسى عليه السلام في السماء السادسة بعدما فرض الله عليه خمسين صلاة قال: فنزلت إلى موسى - ﷺ - فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع

---

1) الانفطار 7.
2) الزمر 39.
3) انظر الروح 54 - 56.
5) انظر مواهب الرحيم 207 - 255.

إلى ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا يطيقون ذلك؛ فإني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم"1".

ففي هذا الحديث أخبر موسى - عليه السلام - رسول الله - ﷺ - بطبائع البشر السابقين، وبمعاناته معهم في طريق الهداية، والتقويم، ونصحه بمراجعة ربه، وسؤاله التخفيف، وهذا باب من أبواب التعليم قام به ميت لحي.

ومثله ما جاء فيها عن إبراهيم - عليه السلام - حين قال للنبي - ﷺ - : (يا بني إنك لاق ربك الليلة، وإن أمتك آخر الأمم وأضعفها، فإن استطعت أن تكون حاجتك أو جلها في أمتك فافعل)"2".

ودعوى أن هذا التعليم من خواص الأنبياء دعوى لا دليل عليها، ولا تثبت الخاصيات إلا بدليل كما نص على ذلك الأئمة.

وإذا كان هذا التعليم من ميت إلى حي فالتعليم من ميت إلى ميت من باب أولى، قال الإمام ابن القيم في تزاور الأرواح وتلاقيها: الأرواح قسمان: منعمة ومعذبة، فأما المعذبة فهي في شغل عن التزاور والتلاقي، وأما المنعمة المرسلة غير المحبوسة فتتلاقى، وتتزاور، وتتذاكر ما كان منها من الدنيا، وما يكون من أهل الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو مثل عملها ... وفي قصة الإسراء من حديث عبدالله بن مسعود قال: لما أسرى بالنبي - ﷺ - لقي إبراهيم، وموسى، وعيسى - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فتذاكروا الساعة، فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم، ثم بموسى فلم يكن عنده منها علم، حتى أجمعوا الحديث إلى عيسى، فقال عيسى: (عهد الله إلي فيما دون وجبتها) فذكر خروج الدجال، قال: (فأهبط فأقتله، ويرجع الناس إلى بلادهم، فتستقبلهم ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرون بماء إلا شربوه ولا يمرون بشيء إلا أفسدوه فيجأرون إلي، فأدعوا الله فيميتهم، فتجأر الأرض إلى الله من ريحهم، ويجأرون إلي فأدعوا، ويرسل الله السماء بالماء فيحمل أجسامهم فيقذفها في البحر، ثم ينسف الجبال ويمد الأرض مد الأديم، فعهد الله إلي إذا كان كذلك، فإن الساعة من الناس كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلا أو نهارا) ذكره الحاكم والبيهقي.

---

1) مسلم -النووي- 214/2.

2) فتح الباري 217/8.

قال: وهذا نص في تذاكر الأرواح"1"، ويؤخذ منه أيضا أن الحي قد يقوم بالتعليم للميت فعيسى - عليه السلام - حي أعلم النبيين الكريمين - موسى وإبراهيم - عليهما السلام - بعلامة الساعة وهما ميتان.

ومن الأشياء التي أخبر بها الشيخ عبد السلام الأسمر عن نفسه والتي لا يعارضها الكلام السابق قوله في بعض قصائده في التحدث على أنه ينفع تلامذته ومن يسيرون على طريقته:

في النزع انجيهم   نلقنـــهم بجــــواب
في القبر نراهــم   ننــورهم يالحبـــاب
دايـــم نونسهـــم   أنا الفـارس المهـاب"2"

وتصديق الشيخ عبد السلام فيما يرويه عن نفسه يعتمد على ثلاث مقدمات.

1. صحة نسبة هذا القول إلى الشيخ بحيث لا توجد إضافات وزيادة من النساخ على مر القرون الماضيات.

التسليم بأن الرجل الصالح قد يرزقه الله من المعارف، والعلوم الموهوبة، والقدرات الخارقة ما يميزه به عن كثير من خلقه كما قال تعالى عن الخضر (أتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما)"3" وكما قال في سورة النمل في قصة سليمان - عليه السلام - حينما طلب إحضار عرش بلقيس من مسيرة شهر: (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي)"4".

الاعتقاد بأن الشيخ من عباد الله الصالحين.

والحكم على الشخص بأنه من عباد الله الصالحين - كما جاء في الشريعة - يعتمد على أساسين هما:

---

1) الروح 26 - 27.
2) مواهب الرحيم 226.
3) الكهف 64.
4) النمل 41.

أ) العلم اللدني، والإلهام الرباني بأن فلانا من عباد الله كما جاء في سورة الكهف في قصة الخضر - عليه السلام - حينما تكلم الخضر على أبوي الصبيين فقال: (وكان أبوهما صالحا)"1" فحكم بصلاح الأبوين، وقد أقره الله على هذا الحكم ولم يعقب عليه.

ولا يقال إن الخضر كان يعرف الأبوين فحكم عليهما من خلال معرفته الظاهرة بهما لـ :

1- أن هذه المعرفة بالمشاهدة إن لم تعتمد على العلم اللدني فلا يجوز للإنسان أن يحكم بأن هذا صالح أو غير صالح، أو مكرم أو غير مكرم كما جاء في قصة عثمان بن مضعون حينما مرض وتوفى فقالت أم العلاء: شهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال رسول الله - ﷺ - : (وما يدريك أن الله أكرمه)"2".

ولا يقال أيضا كيف يعرف الرجل الصالح من المتأخرين ما لا يعرفه بعض الأفاضل من الصحابة والتابعين؟ لأن المزية لا تقتضي الأفضلية. كما جاء في قصة الإسراء التي تقدمت آنفا والتي أعلم فيها عيسى - عليه السلام - إبراهيم وموسى - عليهما السلام - بعلامة الساعة رغم أنهما أفضلا منه.

2- أنه لو كان الأمر كما قال لم يكن للمقدمة التي جاءت في بداية قصة الخضر في سورة الكهف فائدة وهي : (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما)"3".

وقد تواترت أخبار الصالحين وحكمهم على الشيخ بأنه من عباد الله.

ب) ثناء الناس على الميت بعد موته كما جاء عن أنس - رضي الله عنه - قال : مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال النبي - ﷺ - : (وجبت) ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال: (وجبت) فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : ما وجبت؟ قال: (هـذا أثنيتم عليه خيـرا فوجبت لـه الجنة. وهـذا أثنيتم عليه شـرا فوجبت لـه النـار. أنتم شــهداء الله في

---

1) الكهف 81.

2) الطبقات الكبرى لابن سعد 398.

3) الكهف 64.

الأرض"1".

وقد تواترت الشهادات من الناس على الشيخ بأنه من عباد الله.

قيام الميت بالتربية:

وردت الأحاديث المتعددة بقيام إبراهيم - عليه السلام - بكفالته أولاد المؤمنين، ورعايته لشؤونهم، واهتمامه بهم؛ فقد أخرج أحمد، والحاكم وصححه، والبيهقي، وأبو داود في البعث، وابن أبي الدنيا في العزاء من طريق أبي هريرة قال: قال رسول - ﷺ - : (أولاد المؤمنين في جبل من الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة)"2".

حركة الميت وانتقاله وخروجه من قبره:

للميت في الحياة الثانية شأن غير هذا الشأن الذي كان يعيشه في هذه الدنيا، وله حال غير هذه الحال، وقانون غير هذا القانون؛ فهو مع كونه في القبر قد تراه خارجه، ومع كونه في الأرض قد يوجد في السماء. ولقد رأى رسول الله - ﷺ - ليلة أسري به موسى - عليه السلام - ذاهبا إلى الحرم وهو يلبي"3" ورآه في السماء السادسة"4"، ورآه وهو يصلي في قبره"5".

ورأى يونس - عليه السلام - على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف خطام"6" ناقته خلبة"7".

فهذين النبيين، وغيرهما من الأنبياء - عليهم السلام - قد دفنوا، وغيبت أجسامهم في التراب لكنه ﷺ رآهم خارج قبورهم في مناطق متعددة من هذا العالم، ورأى يونس - عليه السلام-

---

1) البخاري -الفتح- 471/3 – 472.
2) شرح الصدور للسيوطي لوحة 91.
3) مسلم - النووي - 230/2.
4) نفس المرجع السابق والجزء 224.
5) النووي على مسلم 238/2.
6) الحبل الذي يقاد به البعير.
7) مسلم - النووي- 229/2.

يركب ناقة حمراء عليه جبة صوف.

فالقبر بالنسبة إلى العالم الآخر لا يحول بين الميت وبين الخروج كما لا يحول دخول الملائكة إليه مع مزربتهم الضخمة حين قيامهم بمحاسبة الميت في القبر، وخروجهم منه.

ولا يحكم على قوانين ذلك العالم بقوانين هذه الحياة أخرج البيهقي في الدلائل عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: جهز عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جيشا واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمي، وكنت في غزاته، فلما رجعنا مات في الطريق، فدفناه، فأتى رجل بعد فراغنا من دفنه، فقال: من هذا؟ قلنا: هذا خير البشر هذا ابن الحضرمي فقال: إن هذه الأرض تلفظ الموتى فلو نقلتموه إلى ميل أو ميلين إلى أرض تقبل الموتى، فنبشناه، فلما وصلنا إلى اللحد إذا صاحبنا ليس فيه، وإذا اللحد مد البصر نور يتلألأ، فأعدنا التراب إلى القبر ثم ارتحلنا.

ووردت مثل هذه الرواية عن أبي هريرة أخرجها أبو نعيم في الدلائل، ولفظه: فمات - أي أبو هريرة - فدفناه في الرمل، ثم قلنا يجئ سبع فيأكله فحفرنا فلم نجده.

وأخرج أبو نعيم عن مسلم الجندي قال: قال طاوس لابنه : إذا قبرتني فانظر في قبري، فإن لم تجدني فاحمد الله، وإن وجدتني فإنا لله وإنا إليه راجعون. فأخبر ولده أنه نظر فلم يجد شيئا. ورؤي في وجهه السرور"1"

ومشاهدة الأموات لا تتم لكل أحد بل لا يصادفها إلا الملتزمون بشرع الله أحيانا.

و من دقائق التعبير القرآني حينما تكلم على قصة الإسراء اختياره للفظ العبد، وتفضيله لها على أي كلمة أخرى، قال تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا)**"2"** ففي التعبير بها في هذا المقام دلالتان:

أولهما: أن الإنسان الذي يستحق الكرامة، والإراءة إنما هو الإنسان الملتزم بشريعة الله عز وجل ظاهرا وباطنا، المنقاد لأوامره ونواهيه الذي تحققت فيه العبودية الكاملة.

---

1) انظر شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور للسيوطي لوحة 78.
2) الإسراء 1.

ثانيهما: الإجابة عن تساؤل كثير من الناس الذين يستفسرون عن سبب اختفاء الكرامات وعدم مشاهدتها؛ فإن الله لا يري عجائب خلقه وملكوته ـ بما فيه مشاهدة الأموات - إلا لمن تمكنت فيه أوصاف العبودية والمحبة لله عز وجل.

وحياة الشيخ عبد السلام كانت حياة التزام وعبودية كاملة لله عز وجل؛ فقد كان لا يفتر عن قراءة القرآن، والذكر، والتدريس، يختم كل يوم القرآن، ويتنفل بعد صلاة العشاء بمائة ركعة، ويقرأ ورده، وأذكارا أخرى كثيرة، هذا إلى جانب عمله في التدريس، والدعوة، والإصلاح، وكان يبدأ في التدريس ـ كما سبق ـ من الضحى وتستمر محاضراته إلى صلاة العشاء في مختلف صنوف العلم والمعرفة"[1]".

وساعد الشيخ على هذا التفرغ، وعلى القيام بواجبات الحياة الأخرى أبناؤه فقد رزق أبناء كثيرين بلغ عدتهم خمسة عشر ولدا، ويخص بالذكر منهم ابنه الشيخ عمران الذي كانت تقع عليه أغلب أعباء الأسرة والضيوف، والذي قال له الشيخ يوما: إن السمن. واللحم. والقمح علي، أنفق ولا تشفق، فكان يذبح لضيوفه كل يوم أربعة شياه، وينفق عشرة مكاييل من القمح"[2]".

والولد من سعي أبيه

وآلاف"[3]" الضيوف الذي يفدون على الشيخ من كل حدب وصوب، وفج عميق كانت فرصتهم للقاء به إما في صلوات الجماعات، أو في قاعة التدريس والمحاضرات، وهم بين عالم يعشق المعرفة ويسعى إليها، أو عابد يرغب في النصح، والتوجيه، والاستفادة، والإرشاد.

وهم على كل حال سيرون في حياة الشيخ مثابرة لا تعرف الكلل والإعياء، ورغبة صادقة في الإصلاح، والدعوة، فيرجعون إلى بلدانهم وفي مخيلة علمائهم صورة نموذجية فريدة للتفاني في خدمة العلم، وفي ذاكرة عبادهم أن القرب من الله ليس بالأماني، لكن ما وقر في القلب وصدقه العمل.

---

1) مواهب الرحيم 308.
2) المرجع السابق 314.
3) انظر القطب الأنور عبد السلام الأسمر 180 – 183.

قيام الميت ببعض الأعمال

مما دلت عليه الأحاديث والآثار أن الميت قد ينجز بعض الأعمال:

- فقد أخرج ابن أبي الدنيا قال: حدثنا القاسم بن هشام قال: حدثنا يحي بن صالح الوحاظي حدثنا محمد بن سليمان ابن أبي ضمرة القاص، حدثني راشد بن سعد أن رجلا توفيت امرأته فرأى نساء في المنام و لم يرا امرأته معهن فسألهن عنها، فقلن: إنكم قصرتم في كفنها فهي تستحي أن تخرج معنا فأتى الرجل النبي - ﷺ - فأخبره، قال النبي - ﷺ - : (انظر هل إلى ثقة من سبيل؟ فأتى رجلا من الأنصار قد حضرته الوفاة فأخبره، فقال: (إن كان أحد يبلغ الموتى بلغت، فتوفى الأنصاري، فجاء بثوبين مثرودين بالزعفران، فجعلهما في كفن الأنصاري، فلما كان الليل رأى النسوة ومعهن امرأته، وعليها الثوبان الأصفران.

قال الإمام السيوطي: هذا مرسل"1" لا بأس بإسناده؛ فإن ابن أبي ضمرة مقبول، وراشد بن سعد ثقة كثير الإرسال"2".

وقد اختلف العلماء في الحديث المرسل، ومذهب الإمام مالك، وأبي حنيفة الاحتجاج به، وهو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل، وذكر محمد بن جرير الطبري أن التابعين أجمعوا بأسرهم على قبولهم المراسيل و لم يأت عنهم إنكاره، ولا عن أحد من الأئمة بعدهم إلى رأس المائتين. قال ابن عبد البر : كأن ابن جرير يعني أن الشافعي أول من أبى قبول المراسيل"3".

وأخرج أبوبكر البرقي"4" في معرفة الصحابة عن ابن عمر التسلي عن أبيه قال: لما ثقل أمر أهله أن لا يلبسوه قميصا، قالت: فألبسناه قميصا فأصبحنا والقميص على المشجب"5".

---

1) المرسل ما يرويه التابعي عن النبي ﷺ مقدمة بن الصلاح 133.
2) شرح الصدور لوحة 77.
3) انظر مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاح مع الهامش 141.
4) أو البرني.
5) شرح الصدور 78.

- وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب أنه كان يلازم المسجد أيام الحرة والناس يقتتلون، قال: فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذانا يخرج من قبل القبر. يعني القبر النبوي.

وقال الزبير بن بكار في أخبار المدينة حدثني محمد بن عبد العزيز بن محمد وغيره عن بكر بن محمد أنه لما كان أيام الحرة ترك الأذان في مسجد رسول الله - ﷺ - ثلاثة أيام، وخرج الناس إلى الحرة، ثم جلس سعيد بن المسيب في المسجد، قال: فاستوحشت، ودنوت من قبر رسول الله - ﷺ - فلما حضرت الظهر سمعت الآذان في قبر رسول الله - ﷺ - ثم سمعت الإقامة، ثم لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول الله - ﷺ - حتى مضت الثلاث، وأقبل القوم، ودخلوا المسجد، وعاد المؤذنون فأذنوا فتسمعت الأذان فلم أسمعه.

وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة"[1]".

- وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجة الأنصاري ثم من بني الحارث بن الخزرج توفى زمن عثمان فسجي، ثم إنهم سمعوا جلجة في صدره ثم تكلم، فقال أحمد في الكتاب الأول. صدق صدق أبو بكر الصديق الضعيف من نفسه، القوي في أمر الله. في الكتاب الأول صدق صدق عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول صدق صدق عثمان بن عفان. مضت أربع وتقبلت ثنثان، أتت الفتن....

قال سعيد: ثم هلك رجل من خطه فسجي بثوبه فسمع جلجة في صدره، ثم تكلم فقال: إن أخا بني الحارث من الخزرج صدق صدق.

قال البيهقي: هذا إسناد صحيح وله شواهد"[2]".

---

1) المرجع السابق لوحة 83.

2) المرجع السابق لوحة 86.

الفصل الرابع

فداء الميت

فداء الميت

1 - أجمعت الأمة على أن الميت ينتفع بما تسبب فيه من الأعمال الصالحة كالصدقة الجارية، والعلم الذي نشره وبثه، والولد الصالح الذي يدعو له. وبدعاء المسلمين واستغفارهم له.

واختلفت في العبادات البدنية كالصوم، والصلاة، وقراءة القرآن، والذكر؛ فمذهب الإمام أحمد وجمهور السلف وصولها، قال الإمام أحمد: اقرأ آية الكرسي ثلاث مرات، و (قل هو الله أحد) ، وقل: اللهم إن فضله لأهل المقابر.

وقد عقد الإمام ابن القيم فصولا متعددة ممتعة في وصول الثواب إلى الميت، واستدل له بالأحاديث والآثار الصحيحة، وأجاب فيه عن الاعتراضات المختلفة للعلماء في هذه المسألة فأحسن وأجاد، وكتابته في هذا الموضوع تعد من الكتابات القيمة، الممتازة"1".

2 - وفي ضمن هذا الإطار، ومن خلال هذا المبدأ أشار الشيخ عبد السلام الأسمر في إحدى نصائحه التي بعث بها إلى أهل الزاوية الغربية إلى نوع من الإهداء للميت وهو إهداء ما يسمى عندنا بالتاليف الكبير.

واختلف العلماء في صيغته؛ فبعض العلماء يرى أنه يقتصر فيه على التهليل - لا إله إلا الله - ويرى آخرون كالإمام السراج، والقصار أنه يلزم أن تقرن بالشهادة الثانية - محمد رسول الله. وبالثاني أخذ الشيخ عبد السلام. وعدده سبعون ألفا. ويجوز توزيعها على أشخاص متعددين وعلى أيام متفرقة، والفور فيها والمسارعة إليها أولى وأفضل"2" ولو فرض أن جمعا اجتمع عند أهل الميت يبلغ عدده سبعون شخصا يسبحون تلك الصيغة عشر سبح (1000 حبة) فيكون الحاصل سبعين ألفا وثمرة هذا الإهداء عتق الميت من النار.

3 - حكم التهليل:

جرى عمل الناس على العمل بالتهليل، واستحبه الفقهـاء، قـال ابن ثابت: استحب

---

1) انظر كتاب الروح 159 – 193.

2) انظر معيار الوزاني 5 - 7 ومواهب الرحيم 312.

الأئمة إن مات أحد من الإخوان أن يجتمع إخوانه يهللون ويهدون إليه من أجل عتقه من النار"1" وقال الإمام القرافي - وهو أحد الأئمة المجتهدين في المذهب المالكي - والتهليل الذي عادة الناس يعملونه اليوم ينبغي أن يعمل، ويعتمد في ذلك على فضل الله. وما ييسره ويلتمس فضل الله بكل سبب ممكن ومن الله الجود والإحسان"2"

4 - ويستنبط من كلام الشيخ عبد السلام وفتوى هؤلاء الأئمة أنهم ممن يقرون الاجتماع عند أهل الميت؛ لأن أهل الميت لا يصبرون أن يبقى ميتهم في النار ولا يقدرون وحدهم على كل هذا العدد. والاجتماع قد يكون فيه الأكل والشرب على ما هو معهود عندنا على مرأى ومسمع ومشاركة من الفقهاء الأجلة المتضلعين في التخصص.

فما رأي الشريعة في هذا؟ وكيف يكون التوفيق بين هذا وبين الآثار التي تحرم الاجتماع عند أهل الميت؟

5 - مجتمع النياحة الذي يقصده الصحابة

وردت آثار تحرم الاجتماع عند أهل الميت كأثر جرير بن عبد الله البجلي الذي قال فيه: كنا نرى الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام من النياحة"3". وهناك أحاديث وآثار أخرى تجوز الاجتماع كحديث النسائي الذي جاء فيه: مات ميت من آل رسول الله - ﷺ - فاجتمع النساء يبكين عليه فقام عمر ينهرهن ويطردهن، فقال رسول الله ﷺ (دعهن يا عمر؛ فإن العين باكية، والقلب مصاب، والعهد قريب)"4".

ففي هذا الحديث ذهاب النساء إلى العزاء، وتجمعهن في مكانه، ولبثهن فيه كما قال الرسول - ﷺ - (دعهن). وجاء في أثر عائشة في صحيح البخاري ما يفيد الاجتماع عند أهل الميت وصنعة الطعام، وسيأتي قريبا.

والقاعدة الأصولية لدراسة هذه النصوص أن يحمل كل نص من النصوص على وجه من الوجوه غير الذي يحمل عليه النص الآخر؛ لأن إعمال الدليلين أولى من إهمال

---

1) معيار الوزاني 9/2.
2) الفروق 194/3.
3) صحيح سنن ابن ماجة - الألباني – 269/1.
4) النسائي - السيوطي 19/4.

أحدهما بالكلية؛ لكون الأصل في الدليل هو الإعمال لا الإهمال"[1]".

فيحمل أثر جرير وما شابهه على الاجتماعات التي كانت تحدث في الجاهلية وفي بدايات الدولة الإسلامية والناس يدخلون في دين الله أفواجا بعاداتهم وتقاليدهم التي لم يهذبها الإسلام بعد، والتي كان فيها ما يبعد السلوى عن أهل الميت، ويهيج الأسف عليهم، فيؤدي إلى تعذيب نفوسهم، وقلة صبرهم وضجرهم، وربما بعثهم على القنوط وشق الجيوب، وضرب الخدود. ويكون أمرها كأمر النعي"[2]" الذي أبيح فيه إعلام وحرم إعلام، وما حرم الذي حرم إلا لما يصحبه من النياحة والتسخط"[3]".

وتحمل أحاديث الجواز على الاجتماعات التي تحدث فيها التعزية، والتسلية، والذكر، والتذكير بالله، وجزائه الحسن.

ومما يستأنس به على هذا التوجيه أربعة أمور:

1 - ما رواه أبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قبرنا مع رسول الله ﷺ ميتا فلما فرغنا انصرف رسول الله ﷺ وانصرفنا معه، فلما حاذى رسول الله ﷺ بابه وقف فإذا نحن بامرأة مقبلة قال: أظنه عرفها، فلما ذهبت إذا هي فاطمة - رضي الله عنها - فقال لها رسول الله - ﷺ - : (ما أخرجك يا فاطمة من بيتك؟) قالت: أتيت يا رسول الله أهل هذا الميت فرحمت إليهم ميتهم أو عزيتهم فيه، فقال رسول الله ﷺ : (لعلك بلغت معهم الكدا؟) فذكر تشديدا في ذلك. قال: فسألت ربيعة بن سيف عن الكُدا قال: القبور فيما أحسب.

قال المنذري : رواه أبو داود والنسائي بنحوه إلا أنه قال في آخره: (لو بلغتها معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك) وربيعة هذا من تابعي أهل مصرفيه مقال لا يقدح في حسن الإسناد"[4]".

- ففي حديث النسائي السابق بيان جـواز الاجتماعـات. وفي هـذا الحديث بيان مـا

---

1) نهاية السول للأسنوي 3 / 158.
2) هو الإعلام بموت الميت.
3) انظر كتابي مراسم الجنازة في الشريعة الإسلامية ومعيار الوزاني 2 / 36 – 37.
4) الترغيب والترهيب 4 / 358 – 359.

يحدث فيها من التعزية والتسلية والدعاء والترحم على الميت.

والتعزية والترحم نوعان من أنواع العبادة يلحق بهما غيرهما كقراءة القرآن والتسبيح والذكر مما ينفع الميت والحي.

2 - أخرج الإمام أحمد في الزهد وأبو نعيم في الحلية عن طاوس - من كبار التابعين - قال: إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعا فكانوا - أي الصحابة - يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام.

وقد أخرجه أيضا السيوطي في كتابه شرح الصدور"1".

وطاوس هذا عاشر عشرات الصحابة وفي مقدمتهم عبد الله بن عباس ترجمان القرآن.

والتاليف الذي يقوم به الناس اليوم أحد الأيام السبعة التي ينبغي ويستحب فيها إطعام الطعام فلا وجه للقول بتحريمه أو كراهته، وسيأتي حين الكلام على التاليف فتوى الإمام المحقق سعيد بن لب بجواز الاجتماعات، وإطعام الناس فيها.

3 - يستند بعض من يفتي بكراهة الاجتماع وإطعام الطعام على الاتفاق الحاصل على هذه الكراهية"2". وهذا الاتفاق - إن وجد - يقوي توجيهي السابق؛ لأن أثر جرير يقول: كنا نعده من النياحة. والنياحة - كما هو معلوم - حرام، فلولا اختفاء أسباب التحريم في الاجتماع للطعام ما كانت فتواهم مقتصرة على الكراهة دون الحرمة.

وهنا ينبغي أن ينبه على البعد الحاصل بين الحكم بالكراهة والاستدلال عليه بأثر جرير هذا؛ فالنص يفيد التحريم وحكم الذي يستدل له هو الكراهة.

ولو استدل من يحكم بكراهة إطعام أهل الميت الطعام بقوله ﷺ (اصنعوا لآل جعفر

---

1) شرح الصدور لوحة 11 والسند الذي رواه أبو نعيم هو حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثه أبو هاشم بن القاسم حدثنا الأشجعي عن سفيان قال: قال طاوس / الحلية 4 / 11.

2) الفتح الرباني 8 / 95.

طعاما فقد أتاهم ما يشغلهم) لكان أقرب في الاستدلال من حيث إن الناس مأمورون بأن يصنعوا لهم طعاما لا العكس.

مع أن الحديث لا يعتبر نصا في الكراهية؛ لأنه موجه إلى الآخرين لا إلى أهل الميت ولأن فعل النبي ﷺ قد يعتبر إرشادا وتوجيها للأفضل، ولا يعني أن ما سواه منعدم فيه الفضل والاستحباب. أو أنه مقتصر على الزمن الأول الذي يفجع فيه الخبر أهل الميت، والميت فيه مستغن عن الإطعام بصلاة المصلين عليه وتوجه الدعاء المتتابع له هم بعد ذلك مطالبون بالتصدق على ميتهم وإطعام الطعام عنه.

والحق في المسألة كما - يظهر - أن صنعة الطعام لمجتمعات العزاء الإسلامي غير مكروهة ولا محرمة.

4 - القياس الفقهي:

القياس الفقهي هو إلحاق مسئلة لم تنص عليها الشريعة بمسئلة أخرى نصت عليها لمعنى مشترك بينهما كإلحاق المخدرات بالخمور في الحرمة لوجود الإسكار وذهاب العقل في كل منهما.

ويقتضي هذا القياس أنه لا يجوز إلحاق الاجتماعات عند أهل الميت وصنعة الطعام بالنياحة إلا إذا وجدت علة مشتركة بينهما، والنياحة ما حرمت في الشريعة إلا لدلالتها على التبرم والتسخط وعدم الرضا فهل الاجتماعات التي تحدث فيها التعزية والتسلية والترحم على الميت وقراءة القرآن والذكر لها علاقة بالنياحة وبالتالي يستدل لها بأثر جرير؟ أم هي على العكس من هذا فيكون من سوء الاستدلال وضعف الثفقه إيراده كدليل على هذه الاجتماعات؟ ومثله صنعة الطعام للناس صدقة عن الميت لا علاقة له بالنياحة والتسخط على القدر، والتبرم به وبالتالي لا علاقة له بأثر جرير.

5 - إن الإمام السيوطي - وهو أحد الأئمة المجتهدين - لما تحدث في كتابه تاريخ الخلفاء عن هارون الرشيد عد من محاسنه أنه لما بلغه موت الإمام ابن المبارك جلس للعزاء وأمر الأعيان أن يعزوه فيه"1". ولولا اختفاء ظواهر التسخط وأفعال النياحة في الاجتماع وبروز

---

1) تاريخ الخلفاء 285.

ظواهر التعزية، والتسلية ما عد السيوطي جلوس هارون الرشيد للعزاء فعلا حسنا، والسيوطى أشهر من نار فوق علم في جمعه وحفظه وفقهه.

- وإذا كان الأمر هكذا فلا يحتج بأثر جرير بن عبد الله البجلي على ظواهر الاجتماع سواء كان بدعوة أم بغيرها، عملها أهل الميت أو تحمل فيها الآخرون النفقات، والتي لا يكون فيها إلا التسلية، والتعزية، والترحم على الميت. والتهليل، وقراءة القرآن، وغيرها من الأمور التي لا يجد فيها الإنسان السوي ما ينكر فقها ودينا.

- ودعوى المشابهة بين مناسبات الموت والفرح غير صحيحة؛ فالموقف هو الذي يحدد البواعث. ويرسم الدوافع، ويسدل على البيئة ثوبها المناسب لها؛ فرسول الله - ﷺ - كان يرسل الهدايا إلى صديقات خديجة صلة، وودا وكرما، وهنا بعث بالطعام إلى بيت الميت بيت جعفر - رضي الله عنه - بالرغم من أن المرسل - بفتح السين - يشبه بعضه بعضا، ولكن الموقف ميز بين الإثنين فهذا موقف حزين باك وذلك موقف سعيد هاني، ويجمعهما العطاء والكرامة.

إطعام أهل الميت أقاربهم وأصدقاءهم:

روى البخاري عن عائشة ـ زوج النبي ـ ﷺ أنها كانت إذا مات الميت من أهلها فاجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلا أهلها، وخاصتها أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت، ثم صنع ثريد فصبت التلبينة عليها ثم قالت: كلن منها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (التلبينة مجمة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن)"1".

- ويؤخذ من هذا الأثر:

1 - جواز أن يجعل ويصنع أهل الميت طعاما لأقاربهم؛ لأن كلمة الأهل في الأصل تطلق على القرابة"2"

---

1) البخاري – الفتح 11 / 482 والتلبينة طعام من دقيق والثريد أن يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم فتح الباري 11 / 482 وعلى هذا التفسير فهو قريب من أكلة البازين عندنا.

2) المصباح المنير مادة أهل.

وكذلك لخاصتهم. ويدخل في الخاصة الأصدقاء الخلص، والأصهار.

2 - ملازمة الخاصة لأهل الميت وتسليتهم. وينبغي أن يقيد هذا بأن لا يجر الفقر لأهل الميت ويخلي مراحهم بسبب هذه الملازمة كما يحدث في بعض مناطق الريف. والتردد في الضحى، وساعة العشية، وبعد صلاة العشاء يبعد عن أهل الميت التكلف، والعناء، والمشقة.

3 - الأولى من الآخرين غير الأقارب والأصدقاء الانصراف عند قرب حلول وقت الطعام.

4 - جعل الأكلة الخفيفة النافعة في مثل هذه المناسبات.

5 - جواز الاجتماع عند أهل الميت (فاجتمع لذلك النساء).

مجمل الأحاديث والآثار التي وردت في هذا الموضوع:

يمكن أن نصنف الأحاديث والآثار السابقة من حيث الدلالة إلى:

1 - أحاديث تدل على مجتمعات العزاء الجاهلي وما شابهها كنص جرير السابق.

2 - أحاديث تدل على مجتمعات العزاء الإسلامي كحديث النسائي وأبي داود.

3 - آثار تدل على جواز إطعام أهل الميت أقاربهم وأصدقاءهم كأثر عائشة الذي رواه البخاري.

4 - آثار تدل على جواز إطعام الناس مطلقا كأثر طاوس الذي رواه الإمام أحمد في كتابه الزهد وأبو نعيم في كتابه الحلية، والسيوطي في كتابه شرح الصدور.

حكم التاليف

التاليف عبارة أن يجمع أهل الميت الناس ويطعموهم من أجل الذكر والتسبيح لميتهم.

وجرى العرف في بلاد تاجوراء قديما أن يعمل في اليوم الأول أو السابع على ما أقره فقهاء النعاسة - رحمهم الله تعالى - استنادا إلى فتوى الإمام المحقق سعيد بن لب"1"، وفي الزمن الحاضر يعمل في اليوم الثالث اغتناما للتجمع الحاصل في الأيام الأولى.

أسس التاليف

يستند التاليف على ثلاثة أسس:

1 - إطعام الطعام صدقة عن الميت والصدقة تصل بإجماع المسلمين سواء كانت من ولد أو من أجنبي"2" واقتداء بالصحابة - رضي لله عنهم - فعن طاوس (أن الصحابة كانوا يستحبون أن يطعموا عن الميت سبعة أيام لأنهم يفتنون في قبورهم).

وأورد الهيثمي في (باب الطعام يصنع) عن عمران بن حصين لما حضرته الوفاة قال: (إذا أنا مت فشدوا على بطني عمامة، وإذا رجعتم فانحروا وأطعموا)"3".

2 - التهليل والذكر من أجل نفع الميت بإهداء ثواب الذكر له، وإهداء الثواب قد وردت فيه أحاديث صحيحة متفق على صحتها؛ كقوله ﷺ في العبادات البدنية: (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) ، وقوله في العبادات المركبة من المالية والبدنية حين سألته امرأة عن الحج عن أمها: (حجي عنها).

والتاليف مركب من العبادات المالية والبدنية - حركة اللسان - وبوصول الثواب إلى الميت قال كثير من أئمة المالكية المجتهدين؛ كابن رشد، وابن العربي والقرطبي صاحب التذكرة"4".

وقد أطال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه - الروح - النفس في الاستدلال على وصول الثواب للميت. وفي الرد على المعارضين للوصول.

---

1) معيار الونشريسي 1 / 317.
2) نيل الأوطار 4 / 105
3) تقدما. وأثر عمران أوردته للاستفادة من العنوان الذي جعله له الحافظ ((باب الطعام يصنع))
4) تهذيب الفروق 3 / 223.

- وقد يكون التاليف أيضا من أجل رفع العذاب استنادا إلى تحليل كثير من العلماء لحديث الجريدتين الذي جاء فيه: (مر النبي - ﷺ - بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال النبي - ﷺ - : (يعذبان وما يعذبان في كبير) ثم قال: (بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة) ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال ﷺ : (لعله يخفف عنهما ما لم تيبسا)"1".

قال القاضي عياض في شرحه على صحيح مسلم: أخذ العلماء من هذا الحديث استحباب قراءة القرآن على الميت؛ لأنه إذا خفف عنهما بتسبيح الجريدتين وهما جماد فقراءة القرآن أولى"2".

وعلى نفس النسق يصح لنا أن نقول: إذا كان تسبيح الجريدة يخفف ويرفع العذاب فتسبيح البشر من باب أولى.

تحديد الوقت بزمن معين

يعمل التاليف في الزمن الحاضر في اليوم الثالث اغتناما للتجمع الحاصل في الأيام الأولى، والمصابون عاجزون عن إقامته في اليوم الأول والثاني نتيجة الصدمة الأولى (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها).

واغتنام التجمع الحاصل في زمن معين لغرض ديني معهود في الشريعة، فقد كان ﷺ يغتنم تجمع الجاهلية في أيام موسم الحج من أجل نشر الدعوة الإسلامية.

فاغتنام التجمع الحاصل في اليوم الثالث من أجل الذكر والتسبيح وإقامة التاليف فيه من السنة النبوية الشريفة.

فوائد التاليف

يمكن أن نجمل فوائد التاليف فيما يأتي:

---

1) البخاري ومسلم.
2) انظر كتاب كشف الشبهات في إهداء الثواب إلى الأموات لمحمود حسن ربيع 172.

1 - نفع الميت ورفع العذاب عنه.
2 - تثبيت الميت عند سؤال الملكين.
3 - الاقتداء بالسنة النبوية في اغتنام التجمع الحاصل لغرض ديني.
4 - تواصل الأقارب والأصدقاء وسائر المسلمين.
5 - هذا التواصل يعبر عن التساند والتعاطف والتراحم.
6 - يعود الناس على الذكر والتهليل ويعرفهم على صيغه المختلفة.
7 - حضور صلاة المغرب والعشاء جماعة.
8 - بحضور الصغار يتم نقل هذه القيم إلى الأجيال المقبلة.
9 - الذكر يشفي القلوب الحزينة ويذهب عنها الاضطراب (ألا بذكر الله تطمئن القلوب).
10 - يجمع شرائح المجتمع المختلفة - العالم والجاهل، المدرس والتلميذ، الكبير والصغير، الرئيس والمرؤس - في صعيد واحد ومكان واحد مما يساعد على نمو التقارب والتآلف والتعارف.
11 - الحصول على الدعوات المجابة، قال رسول الله ﷺ : (لا يجتمع قوم مسلمون فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم إلا استجاب الله دعاءهم)"1".

الصور الشرعية للتاليف:

1 - أن يعمل من مال الآخرين كما يحدث في كثير من مناطق بلادنا فهذا جائز ولهم فيه الأجر والثواب (وتعاونوا على البر والتقوى) على أن يكون تجميع المال من الآخرين على سبيل التطوع والاختيار لا على سبيل الفرض والإلزام.

2 ـ أن يعمل من مال المصاب البالغ تطوعا منه لنفع ميته فهذا جائز لا حرج فيه، وغالب مجتمعنا يفعلونه لهذا القصد.

3 ـ أن يكون من مال يتامى فهذا حرام بالإجماع (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا).

4 - أن يصنع رئاء الناس ولطلب ثنائهم فهذا وزر لا خلاف فيه.

---

1) أخرجه الحاكم على شرط مسلم / زروق على الرسالة 1 / 201.

5 - أن يصنع من تركة الميت إذا وصى به ولا دين عليه يستغرق جميع ماله فهذا ـ كما قال البرزلي - جائز حلال"1".

6 - أن يصنع اتقاء كلام الناس فيه لو تركه فهذا ـ كما قال ابن حجر - يرجى أن يكتب له ثواب ذلك أخذا من أمره - ﷺ - من أحدث في الصلاة بوضع يده على أنفه و عللوه بصون عرضه عن خوض الناس فيه لو انصرف على غير هذه الكيفية"2".

خلاصة:

ما نخرج به من هذا البحث هو سلامة رأي الشيخ عبد السلام الأسمر فيما ذهب إليه، وفيما يستنبط من كلامه من جواز الاجتماع عند أهل الميت، والقيام بما يسمى عندنا بالتاليف. وسلامة عاداتنا الاجتماعية التي ورثناها عن أسلافنا، وأقرها فقهاؤنا الأعلام على مر الأجيال والأزمان لا مدارة بل إدراكا لوجه الحقيقة في هذه المسائل، والجزئيات.

1) معيار الوزاني 2 / 14.
2) انظر الفتاوي الكبرى لابن حجر 2 / 7.

الفصل الخامس

الختم البغدادي

الصلاة على النبي - ﷺ - والختم البغدادي

1 - أمر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بالصلاة والسلام على رسوله ﷺ فقال: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)"1".

ورغب فيها رسول الله ﷺ فقال:

- (من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا)"2".
- (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات)"3".

- عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - ﷺ - إذا ذهب ربع الليل قام فقال: (يا أيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه) قال - أي أبي بن كعب - : فقلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: (ما شئت) قلت: الربع؟ قال: (ما شئت وإن زدت فهو خير لك) قلت: النصف؟ قال: (ما شئت وإن زدت فهو خير لك) قال: الثلثين؟ قال: (ما شئت وإن زدت فهو خير لك)، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ فقال ﷺ : (إذا يكفى همك، ويغفر لك ذنبك).

قال الترمذي: حدث حسن صحيح، ورواه أحمد والحاكم وصححه"4"

2 ـ واستجابة لهذه الأوامر الإلهية، والإرشادات النبوية:

أ) دعا الشيخ عبد السلام الأسمر أتباعه إلى الصلاة على الرسول ﷺ وإلى كثرتها والدوام عليها قال: وعليكم بكثرة الصلاة عليه ﷺ بشوق وانزعاج، وصلوا عليه من صميم قلوبكم... وإذا فرغتم من أورادكم فلا تشتغلوا بذكر غير الصلاة على النبي ﷺ حتى تظهر لكم نتيجتها، ونتيجتها هو أن يجتلي القلب من الغفلة عن الذكر.

---

1) الأحزاب 56.
2) مسلم.
3) حديث صحيح / التيسير بشرح الجامع الصغير 2 / 427 – 428.
4) الترغيب والترهيب 2 / 501.

وإياكم، ثم إياكم. ثم إياكم أن تتركوا الصلاة على النبي ﷺ فإنه لا يفتح الباب إلا بعد ذكر النبي ﷺ "1"

ب) جعلها الشيخ في أوراده التي أرشد إليها أتباعه ومريديه، والصيغة المشهورة عنه: (اللهم صل على سيدنا محمد عبدك، ونبيك. ورسولك، النبي الأمي وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما)"2".

وضم الشيخ في الصلاة عليه الصلاة على آله؛ لأن - كما قال الشوكاني - جميع التعليمات الواردة عنه - ﷺ - في الصلاة عليه مشتملة على الصلاة على آله معه إلا النادر اليسير من الأحاديث فينبغي للمصلي عليه أن يضـم آله إليه في صلاته عليه"3".

ج) حرص عليها في مقطعاته؛ فأغلب قصائد المدح فيها الصلاة على رسول الله - ﷺ -"4".

وجعل الشيخ الصلاة على رسول الله - ﷺ - في قصائده التي طلب من أتباعه أن يذكروها في الوظيفة حال الوجد يفيد أنه يبيح السماع للقصائد التي تتضمن مدح الله ومدح رسوله - ﷺ - وهذا يدفعنا إلى الحديث عن هذه القصائد التي تتلى بمناسبة المولد النبوي الشريف على مسامع الناس، وما يتبعها من الاحتفالات، وإقامة الولائم والموائد، وبيان رأي العلماء فيها.

الاحتفالات بالمولد

جرى الشأن في الديار الليبية أن تعقد ليالي للذكر قبيل مناسبة المولد النبوي الشريف تتلى فيها القصائد المتنوعة في مدح رسول الله ـ ﷺ ـ يتلون في كل ليلة جزاء وفي الختام يقيمون الولائم، وينصبون الموائد احتفالا بهذه الذكرى العطرة.

---

1) مواهب الرحيم 261 - 262.
2) المرجع السابق 282.
3) فتح القدير 4 / 304.
4) مواهب الرحيم 220 - 255.

وهذه الاحتفالات تعبر عن ثلاثة مبادئ تعترف بها الشريعة الإسلامية:

1 - المبدأ الأول أن النعمة تقابل بالشكر .
2 - المبدأ الثاني أن المولد نوع من أنواع النعم.
3 - المبدأ الثالث الإنفاق في الأوقات الفاضلة.

المبدأ الأول:

استدل العلماء على أن النعمة تقابل بالشكر بما ثبت في الصحيحين أن النبي - ﷺ - قدم المدينة فوجد اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: (ما هذا؟) قالوا: يوم صالح نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى. فقال: (أنا أحق بموسى منكم) فصامه وأمر بصيامه"1".

ويستفاد من هذا الحديث - كما قال الحافظ بن حجر - فعل الشكر لله على ما منّ به في يوم معين من إسداء نعمة، أو دفع نقمة. ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة.

والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود، والصيام، والصدقة، والتلاوة.

وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم. وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء"2".

يقول العباس عم رسول الله - ﷺ - :

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق"3".

- واختلف العلماء في شهر ويوم ولادة النبي - ﷺ - فجمهور العلماء أنه في ربيع الأول في الثاني عشر منه، وقيل لليلتين خلتا منه، وقيل لثمان خلت منه، وقيل لعشر، وقيل

---

1) متفق عليه / نيل الأوطار 4 / 270.
2) الحاوي للفتاوي 196.
3) لطائف المعارف 89.

لأثنى عشر. وقيل لسبع عشر، وقيل لثماني عشر، وقيل لثمان بقين منه"[1]".

فمن فاته الاحتفال في ليلة الثاني عشر منه فليتحر إحدى هذه الليالي حتى ينطبق حكم الحديث السابق عليها.

ما يعمل في المولد:

قال الإمام السيوطي: ينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من التلاوة، والإطعام والصدقة، وإنشاء شيء من المدائح النبوية، والزهدية المحركة للقلوب على فعل الخير والعمل للآخرة.

وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال ما كان من ذلك مباحا بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به، وما كان حراما، أو مكروها فيمنع، وكذا ما كان خلاف الأولى"[2]".

وسلم الإمام ابن القيم بسماع القصائد التي فيها مدح لله ولرسوله - ﷺ - ولدينه، وكتابه، أو فيها هجاء لأعدائه، وقال: لم يزل المسلمون يرونها، ويسمعونها، ويتدارسونها، وهي التي سمعها رسول الله - ﷺ - وأصحابه، وأثاب عليها، وحرض حسانا عليها"[3]".

وأخرج ابن عساكر عن زيد بن أسلم قال: خرج عمر بن الخطاب يحرس فرأى مصباحا في بيت فدنا فإذا عجوز تطرق شعرا لها ـ أي تنفشه ـ لتغزله، وهي تقول:

علـى محمد صلاة الأبـرار   صلى عليك المصطفون الأخيار
قد كنت قواما بكيّ الأسحار   يـا ليت شعري والمنـايا أطـوار
هل تجمعني وحبيبي الـدار

تعني النبي - ﷺ - فجلس عمر يبكي، فمازال يبكي حتى قرع الباب عليها، فقالت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب. قالت: ومالي ولعمر؟ وما يأتي بعمر هذه الساعة؟ فقال:

---

1) المرجع السابق 95.
2) الحاوي 196.
3) مدارج السالكين 1 / 492.

افتحي رحمك الله فلا بأس عليك. ففتحت له فدخل، فقال لها: رددي علي الكلمات التي قلت آنفا. فرددت عليه، فلما بلغت آخرها قال: أسألك أن تدخليني معكما - أي في الدعاء - قالت: وعمر فاغفر له يا غفار

فرضي، ورجع"1".

والشاهد جواز الاستماع لقصائد المدح النبوي، وجواز طلب إلقائها، واعتقاد قبولها عند الله حتى طلب منها عمر أن تدخله في هذا القصيد فأدخلته، ورضي بهذا الصنيع.

المبدأ الثاني:

يعتبر المولد النبوي الشريف من أكبر النعم التي خص الله بها هذه الأمة، وفضلها به على كثير ممن خلق تفضيلا.

وقد أشار - ﷺ - إلى فضيلة هذا الشهر للسائل الذي سأله عن صوم يوم الإثنين، فقال له عليه الصلاة والسلام: (ذاك يوم ولدت فيه)"2".

وتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذي ولد فيه فينبغي - كما قال ابن الحاج - أن نحترمه حق الاحترام، ونفضله بما فضل الله به الأشهر الفاضلة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر). ولقوله عليه الصلاة والسلام: (آدم ومن دونه تحت لوائي).

وتشريف الأزمنة والأمكنة إنما يحصل بما خصت به من المعاني فانظر - رحمنا الله وإياك - إلى ما خص الله تعالى به هذا الشهر الشريف، ويوم الإثنين"3".

وما كان تفضل ليلة القدر على سائر الليالي إلا بنزول الملائكة فيها. قال الله تعالى: (ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر)"4".

---

1) محمد رسول الله 413.
2) مسلم.
3) المدخل 2 / 4.
4) القدر 3 - 4.

المبدأ الثالث:

كان النبي - ﷺ - يخص الأوقات الفاضلة بزيادة فعل الخير والمبرات؛ فقد كان أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان"1"؛ لأن الجود في الأوقات الفاضلة يزيد في ثواب النفقة والعطاء.

فإذا كانت هذه المبادئ الثلاثة مسلمة في الشريعة الإسلامية، وكانت الاحتفالات بالمولد في مجتمعنا تعبر عن هذه المبادئ الثلاثة فينبغي أن نحكم بجواز إقامتها، وبجواز المشاركة فيها.

ويجب هنا أن نزيل الشبهة التي تعلق ببعض الأذهان وأن نجيب عن سؤالين يعترض بهما المعترضون عن إقامة مثل هذه الاحتفالات، وهما:

1 - إن النبي - ﷺ - لم يفعل هذه الاحتفالات، ولم يقم بها، فكيف تحكمون بجوازها؟

2 - لم يثبت عن السلف الصالح أنهم أقاموا مثل هذه المناسبات مع أنهم خير خلق الله.

أما السؤال الأول فقد أجاب عنه ابن الحاج - رحمه الله تعالى - فقال : إن المعنى الذي لأجله لم يلتزم عليه الصلاة والسلام شيئا في هذا الشهر الشريف إنما هو ما قد علم من عاداته الكريمة في كونه عليه الصلاة والسلام يريد التخفيف عن أمته والرحمة لهم سيما فيما كان يخصه عليه الصلاة والسلام؛ ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام في حق حرم المدينة: (اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم المدينة بما حرم به إبراهيم مكة ومثله معه) ثم إنه عليه الصلاة والسلام لم يشرع في قتل صيده، ولا في قطع شجره الجزاء تخفيفا على أمته، ورحمة لهم، فكان عليه الصلاة والسلام ينظر إلى ما هو من جهته وإن كان فاضلا في نفسه يتركه للتخفيف عنهم. فما أكثر شفقته ﷺ بأمته جزاه الله عنا خيرا أفضل ما جزى نبيا عن أمته"2".

---

1) البخاري.
2) المدخل 2 / 5.

على أنه ينبغي أن نلاحظ أنه ﷺ قام بما يعبر عن الشكر على النعمة بالصوم لله تعالى. والتعبير عن شكر النعمة في الشريعة الإسلامية قد يكون بالصوم وقد يكون بإطعام الطعام كما فعل عمر بن الخطاب حين حفظ سورة البقرة فنحر جزورا.

عدم فعل السلف ليس دليلا على عدم الجواز:

يعترض بعض الناس على هذه الاحتفالات بأن السلف الصالح لم يفعلها و لم يقم بها وهم أفضل الخلق عند الله، فلو كان فيها الخير لعملوها؛ لأنهم أحرص الناس على الخير كما قال الرسول - ﷺ - : (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) والخير في الاتباع والشر في الابتداع.

والجواب عن هذا الاعتراض بأن الحديث الذين يستدلون به لا نص فيه على ما يذهبون إليه، وإنما معناه أن الصحابة والتابعين وتابعيهم خير القرون في التمسك بمجموع ما ظهر لهم من أوامر الشريعة سواء كانت الأوامر صريحة أم مستنبطة، فهم فيما ظهر لهم خير من القرن الذين بعدهم فيما ظهر لهم، وهكذا التابعون مع تابعيهم وهكذا كل عام مع العام الذي بعده.

وليس في الحديث دلالة على أن الصحابة والسلف لا يفوتهم شيء من الفهم في النصوص الدينية التي يعلمونها. كيف وقد قال رسول الله - ﷺ - : (رب مبلغ أوعى من سامع) والمبلغ - بفتح اللام - في الحديث الشريف لا يقتصر على القرون الثلاثة الأولى بل هو عام في كل جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال المهلب: يؤخذ من الحديث أنه يأتي في آخر الزمان من يكون له من الفهم والعلم ما ليس لمن تقدمه وإن كان قليلا؛ لأن رب موضوعة للتقليل"1". وقال ابن رشد: رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ومبلغ حديث إلى من هو أوعى منه"2". وقال ابن خلدون: الفضل ليس منحصرا في المتقدمين وفضل الله يؤتيه من يشاء"3".

---

1) نيل الأوطار 3 / 350 – 351.
2) البيان 1 / 31.
3) المقدمة 532.

الخلاصة:

وخلاصة المسألة أن سماع القصائد التي فيها مدح لله ولرسوله - ﷺ - والتي سلم بها الشيخ عبد السلام الأسمر وتسير عليها بعض الطرق كالعيساوية فيما يسمى عندنا بالبغدادي، وإقامة الاحتفالات والولائم عند ختمه ليس في كل هذا ما يخالف الشريعة الإسلامية بل هو في الحقيقة صورة حية، وتعبير قوي عن محبة رسول الله - ﷺ - اللهم إلا أمر المشاركة في هذه الاحتفالات فلا يكون إلا على سبيل التطوع والاختيار، لا الفرض والإلزام والطلب من الناس وإحراجهم، فمن رغب أن يشارك من تلقاء نفسه بلا طلب فله عند الله الأجر العظيم، ومن لا فليترك في حاله، ولا يتعرض له.

ونختم هذا الفصل بفتوى الإمام المحقق أبي سعيد بن لب حينما سئل عن جماعة من المسلمين يجتمعون في رباط على حافة البحر في الليالي الفاضلة يقرؤون جزءا من القرآن، ويسمعون من كتب الوعظ والرقائق ما أمكن في الوقت، ويذكرون الله عز وجل بأنواع التهليل، والتسبيح، والتقديس، ثم يقوم من بينهم قوال يذكر شيئا في مدح النبي - ﷺ - ويلقي من السماع ما يشوق النفوس إليه وتشتاق سماعه من صفة الصالحين، ونعت المتقين، وذكر آلاء الله ونعمائه، ويشوقهم بذكر المنازل الحجازية والمعاهد النبوية فيتواجدون اشتياقا لذلك، ثم يأكلون ما حضر من الطعام، ويحمدون الله سبحانه، ويرددون الصلاة على النبي - ﷺ - ويبتهلون بالأدعية إلى الله في صلاح أمورهم، ويدعون للمسلمين وإمامهم، ويفترقون على ذلك فهل يجوز اجتماعهم على ما ذكر ويباح لهم، أو يمنعون من ذلك وينكر عليهم؟ ومن دعاهم من المعتقدين أو المحبين إلى منزله بقصد التبرك فهل يجيبون دعوته ويجتمعون معه على الوصف المذكور أم لا؟

فأجاب: وقفت على المكتوب بالأعلى ومجالس تلاوة القرآن، وذكر الله تعالى هي رياض الجنة كما جاء في الحديث، وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (ما جلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده).

وقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا)"1".
وقال سبحانه: (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم)"2".

---

1) الأحزاب 41.
2) آل عمران 191.

وقال في الصدقات: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم)"1".

وأما الإنشاءات الشعرية فإنما الشعر كلام، حسنه حسن، وقبيحه قبيح، وقد قال في شعراء الإسلام: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا)"2". وذلك أن حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن زهير، وكعب بن مالك لما سمعوا قوله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون)"3". بكوا عند سماعها فأنزل الله تلك الآية عند عقبها واستثناهم فيها.

وقد أنشد الشعر بين يدي رسول الله - ﷺ - ورقت نفسه الكريمة، وذرفت عيناه لأبيات أخت النضر لما كان قد طبع عليه من الرأفة والرحمة ﷺ.

وأما التواجد عند السماع فهو في الأصل آثار رقة النفس، واضطراب فيتأثر الظاهر بتأثر الباطن، قال الله تعالى: (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)"4" أي اضطربت رغبا ورهبا.

وعن اضطراب القلب يحصل اضطراب الجسم قال تعالى: (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا)"5".

فإنما التواجد رقة نفسية وهذه قلبية ونهضة روحية. وهذا هو التواجد عن وجد، ولا يسمع فيه نكير من الشرع..... ووراء هذا تواجد لا عن وجد فهو مناط الذم لمخالفة ما ظهر لما بطن فقد يقرب فيه الأمر عند القصد إلى استنهاض العزائم، وأعمال الحركة في يقظة القلب النائم (يأيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا) ولكن شتان ما بينهما كما قال القائل في الواجد الباكي، والخلي المتباكي.

---

1) البقرة 273.
2) الشعراء 223 - 226.
3) الشعراء 223 - 226.
4) الأنفال 2.
5) الكهف 18.

وفي الأحبـاب مختص بوجـد وآخر يدعي معه اشتراكـا
إذا اشتبكت دمـوع في خـدود تبين مـن بكى ممن تبـاكى

- وأما من دعا طائفة إلى منزله فتجاب دعوته وله في ذلك قصده ونيته"[1]".

1) المعيار للونشريسي 11 / 105 – 107.

الفصل السادس

البدع

البدع:

1 - دعت الشريعة الإسلامية إلى ترك المحدثات والبدع قال ﷺ : (وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة)"1". والمحدثات في الشريعة - كما قال الإمام ابن العربي - تنقسم إلى قسمين:

-محدث ليس له أصل إلا الشهوة والعمل بمقتضى الإرادة فهذا باطل قطعا.

و محدث بحمل النظير على النظير، فهذه سنة الخلفاء والأئمة الفضلاء.

وليس المحدث والبدعة مذموما للفظ محدث وبدعة ولا لمعناها؛ فقد قال الله تعالى: (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) وقال عمر: نعمت البدعة هذه. وإنما يذم من البدعة ما خالف السنة، ويذم من المحدثات ما دعا إلى ضلالة"1".

قال العلامة الحفني في حاشيته على الجامع الصغير:

البدعة ما لم يكن في عهده ﷺ وهي نوعان:

أ) حقيقة - وهي المقابلة للسنة - ما أحدث بعد الصدر الأول و لم يشهد له أصل من أصول الشرع.

وغلب إطلاقها على ما خالف أصول أهل السنة في العقائد. وهي البدعة المحرمة سواء كفر بها كإنكار علمه تعالى بالجزئيات أولا كالمجسمة والجهمية على الراجح إن لم تقل الأولى كالأجسام. وهي"2" المراد بالبدعة متى أطلقت والمراد بالحديث الذي خرجه ابن ماجه، وابن أبي عاصم في السنة، والديلمي عن ابن عباس: (أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته).

---

1) العارضة 10 / 144 – 147. وانظر مناقشات للإمام الشاطبي في شرحه لرسالة ابن أبي زيد القيرواني قسم العقائد.
2) أي البدعة الحقيقية.

ب) المشتبهات:

تعرض على أصول الشرع فإن وافقت الواجب كانت واجبة. أو المندوب كانت مندوبة أو المكروه كانت مكروهة. أو المباح كانت مباحة.

وما ذهب إليه العلامة الحفني من التفصيل ذهب إليه جمع من الأئمة الكبار، كالإمام عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء، وتلميذه الإمام القرافي، وكلاهما من المجتهدين. والإمام النووي، ومحمد الزرقاني شارح الموطأ، وصححه الإمام المحقق ابن الشاط، وقال عنه الإمام المجتهد الشوكاني: إنه التحقيق وهو ما يشير إليه قوله ﷺ : (من ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها). قال الترمذي: حديث حسن.

قالوا: وحديث (وكل بدعة ضلالة) عام مخصوص"1" بالحديث السابق كتخصيص الجملة التي قبلها (كل محدثة بدعة) فلا يمكن أن تحمل هذه الجملة الأخيرة على العموم.

ومذهبهم هذا هو مذهب كثير من شراح الحديث، وعامة الفقهاء الأجلاء"2".

ومن أول من قسم البدعة إلى أقسام الإمام الشافعي - رضي الله عنه - فقد روى عنه أبو نعيم أنه قال: (البدعة بدعتان؛ بدعة محمودة، وبدعة مذمومة. فما وافق السنة فهو محمود، وما خالفها فهو مذموم. وروى عنه البيهقي في مناقبه أنه قال: المحدثات ضربان:

- ما أحدث يخالف كتابا، أو سنة أو أثر، أو إجماعا فهذه بدعة الضلال.

- وما أحدث من الخير لا يخالف شيئا من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة"3".

2 - وكل ما تعرضت إليه في هذا الكتاب من المواضيع من ضرب الدف حالة الوجد، والاجتماعات عند أهل الميت، والقيام بما يسمى عندنا بالتاليف، والقيام بالاحتفالات في أعياد المولد وغيرها من أعمال الخير لا تخالف شيئا من الكتاب، والسنة بل هي كما

1) انظر الفرق الرابع والخمسين والمائتين من تهذيب الفروق، والترمذي - العارضة - 10 / 148 ونيل الأوطار 3 / 60.
2) انظر الإبداع في مضار الابتداع 119.
3) فتح الباري 17 / 10.

عرفنا سابقا داخلة فيها، ومعبرة عليها.

3 - والشيخ عبد السلام حينما دعا إلى الابتعاد عن أهل البدع في قوله: (وإياكم ومخالطة أهل الهوى والبدعة، والخوارق والمستدرجين؛ فإنكم لا تنالون منهم إلا الظلمة، والشك في الاعتقادات الجميلة، فلا تخالطوهم ولا تقربوهم)"1" فإنما يعني الذين خالفوا السنة وخرجوا عنها وعن الكتاب أو الأثر أو الإجماع.

ويعبر بهذا عن حرصه التام على السير في ظلال الشريعة الإسلامية وكنفها العام.

تنبيه:

من المسائل التي يلتزم بها مشائخ الطريقة العروسية الأسمرية مسألة الدعاء الجماعي بعد الصلاة رغم أنها لم تكن في السلف الأول فهل تقر لهم الشريعة هذا السلوك وترتضيه أم تحبذ تركه والإعراض عنه؟ هذا ما سندرسه في هذه الفقرة:

أولا: عمر هذا السلوك:

جرى العمل منذ آماد طويلة أن يدعو الإمام بالناس بعد الفراغ من معقبات الصلاة، وقد أقر هذا العمل أئمة مجتهدون في الفقه المالكي كابن عرفة، والغبريني، وغيرهما من الأئمة المجتهدين، وسار على منوالهم العلماء والمشائخ على مر الأجيال والأزمان حتى يوم الناس هذا. وعارض هذا العمل أئمة وفقهاء آخرون.

وعلى الفريق المجيز لهذا العمل أن يجيب على ثلاثة نقاط هي:

1 - مشروعية الدعاء الجماعي.
2 - لماذا لم يفعله ﷺ ؟
3 - كيف لم ينتبه الصحابة لهذا مع أنهم خير خلق الله؟

---

1) مواهب الرحيم 274.

مشروعية الدعاء الجماعي:

من الأحاديث التي استدل بها على مشروعية الدعاء الجماعي ما خرجه الحاكم على شرط مسلم من طريق حبيب بن مسلمة الفهري - رضي الله عنه ـ قوله ﷺ : (لا يجتمع قوم مسلمون فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم إلا استجاب الله دعاءهم).

قال ابن ناجي: وكان بعض من لقيته ينصره بأن الدعاء ورد الحث عليه من حيث الجملة؛ فقال تعالى: (أدعوني أستجب لكم) وإذا صار شائعا ذائعا فعله كما هو عندنا فالغالب على من نصب نفسه لذلك نفي العجب"1".

عدم فعل النبي ﷺ

وعدم دعاء النبي ﷺ بالجماعة مع وجود المقتضى للدعاء سببه عدم انتفاء المانع، ذلك أن بقاء النبي - ﷺ - كان من أسبابه انتظار خروج النساء، والنساء كن يخرجن مباشرة بعد السلام كما قالت أم سلمة - رضي الله عنها"2" - فإذا كان سيدعو بالجماعة بعد أذكاره"3" فلن يخرج النساء انتظارا لدعائه المستجاب، وخروجهن بعده ربما كان سببا لريبة ما، لأن الرجال قد فرغوا من الأذكار ومما يشغلهم عن النساء فتركه - ﷺ - الدعاء بالجماعة رغم ما فيه من المصلحة الواضحة لخوف مفسدة أعظم، ومعلوم في الشريعة أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وأن الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما. فإن انتفت العلة كحال مساجدنا اليوم فيستحب الدعاء الجماعي عملا بحديث الحاكم الذي تقدم آنفا.

فتوى عمر بن الخطاب:

فإن قلت: ما تقدم قد يعارضه ما روي عن عمر بن الخطاب حين استأذنه أحد الأئمة أن يدعو بقومه فقال : لا . لأني أخشى عليك أن تنتفخ حتى تصل إلى الثريا"4".

---

1) انظر زروق وابن ناجي على الرسالة 1 / 201.
2) البخاري - الفتح- 2 / 480.
3) لأن الذكر كما جاء في الأحاديث المعتمدة يكون دبر الصلاة مباشرة وفعله ﷺ مبني على الوحي
4) ابن ناجي على الرسالة 1 / 201.

فالجواب أن قصة عمر تؤيد ما سبق وتقويه، لأن ترك عمر الاستدلال بفعل النبي ﷺ والتجاءه إلى الاجتهاد والتعليل يشير إلى أن ترك النبي ﷺ للدعاء الجماعي لا يدل على منعه أو كراهته، ولو كان فيه دلالة لاستدل به لأن الشريعة علمتهم حين تواجههم النوازل والوقائع أن يلتجؤ إلى القرآن أولا، فإن لم يجدوا فإلى السنة، فإن لم يجدوا فيها شيئا اتجهوا إلى الاجتهاد.

ثم إن العجب المتوقع يختفي عندما يكون الشيء عادة وعرفا، وقد قال الفقهاء: إن تغطية الوجه في الصلاة مكروهة لأنه يدل على الكبر. اللهم إلا إذا كان عادة البلد التنقب وتغطية الوجوه فلا يكره لاختفاء التعليل المذكور"1".

ونستخلص من كل هذا أن دعاء الإمام بالناس بعد الصلاة جائز، ويرجي فيه القبول. وأن صفة العجب بالنفس من الأمور المستبعدة حينما يكون الدعاء إلفا وعادة، وأن أثر عمر لمن يتأمل فيه يفيد الاعتراف ضمنيا بجواز الدعاء إذا خلى من العجب والخيلاء.

عدم فعل السلف ليس دليلا على عدم الجواز:

يعترض بعض الناس على هذا الدعاء بأن السلف الصالح لم يفعله وهم أفضل الخلق عند الله فلو كان فيه الخير لفعلوه؛ لأنهم أحرص الناس على الخير كما قال الرسول - ﷺ - (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم).

والجواب عن الاعتراض - كما تقدم سابقا - بأن الحديث الذي يستدلون به لا نص فيه على ما يذهبون إليه، وإنما معناه أن الصحابة والتابعين وتابعيهم خير القرون في التمسك بمجموع ما ظهر لهم من أوامر الشريعة سواء كانت الأوامر صريحة أم مستنبطة، فهم فيما ظهر لهم خير من القرن الذين بعدهم فيما ظهر لهم، وهكذا التابعون مع تابعيهم، وهكذا كل عام مع العام الذي بعده. وليس في الحديث دلالة على أن الصحابة والسلف لا يفوتهم شيء من الفهم في النصوص الدينية التي يعلمونها، كيف وقد قال رسول الله - ﷺ - : (رب مبلغ أوعى من سامع) والمبلغ - بفتح اللام - في الحديث الشريف لا يقتصر على القرون الثلاثة الأولى بل هو عام في كل جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال المهلب: يؤخذ من الحديث أنه يأتي في آخر الزمان من يكون له من الفهم، والعلم ما ليس لمن تقدمه وإن كان

---

1) انظر زروق وابن ناجي على الرسالة 1 / 202 – 203.

قليلا؛ لأن رب موضوعة للتقليل"[1]". وقال ابن رشد: رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ومبلغ حديث إلى من هو أوعى منه"[2]". وقال ابن خلدون: الفضل ليس منحصرا في المتقدمين وفضل الله يؤتيه من يشاء"[3]".

ونستنبط مما تقدم أن دعاء الإمام بالناس بعد الصلاة مشروع وجائز، وهو من المواطن التي يستجاب فيها الدعاء قيل للرسول ﷺ : أي الدعاء أسمع؟ قال: (جوف الليل ودبر الصلوات المكتوبات)"[4]"

وليس هناك ما يعارضه من الأحاديث والآثار قولا أو فعلا . ورفع اليدين في الدعاء جائز ومشروع، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين). رواه أبو داود والترمذي وحسنه واللفظ له، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين"[5]". وخلاصة هذا البحث أن دعاء الإمام بالناس بعد الصلاة يتكون من المبادئ الآتية التي أقرتها الأحاديث النبوية الشريفة وهذه المبادئ هي :-

1 - جواز أن ينصب أحد من الناس نفسه للدعاء بالآخرين و روى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل على رجل قد نصب نفسه للإقراء وللدعاء بالناس فرضى بفعله وحمد الله عليه"[6]"، ولو كان نصب الإنسان نفسه للدعاء يجر إلى الغرور لكان أولى بالمنع هذا الصحابي المقرئ، لأن توقع الغرور بعد العلم أكثر من توقعه بعد الصلاة ، لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بما فيه الغرور بخلاف العلم فقد ينهى عنه وقد يزيد فيه.

2 - رفع اليدين في هذا الدعاء .

3 - توقع الإجابة فيه.

4 - عدم المعارضة له.

---

1) نيل الأوطار 3 / 350 – 351.
2) البيان 1 - 31.
3) المقدمة 532.
4) حديث حسن / نيل الأوطار 2 / 345.
5) الترغيب والترهيب للمنذري 2 / 48.
6) الدر المنثور للسيوطي 4 / 241.

الفصل السابع

الاجتماع للذكر

الاجتماع للذكر

1 - وردت كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والآثار في طلب الذكر، وتفضيله على كثير من العبادات، وفي جعله سببا لتفريج الهموم، والمدد بالأموال والبنين، ودفع البلاء؛ فهناك صيغ من قالها حفظه الله من الشيطان، ومن الضر. ومن لدغة العقرب، ومن أن يصيبه شيء يكرهه.

ومما استدل به على تفضيل الذكر على سائر العبادات أنه لم يرخص في تركه في حال من الأحوال؛ أخرج ابن جرير في تفسيره عن قتادة قال: افترض الله ذكره عند أشغل ما تكونون، عند الضرب بالسيوف"1"؛ فقال: (يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)"2".

2 - ورغبت الشريعة الإسلامية في الاجتماع للذكر ؛ فقد أخرج مسلم أن رسول الله ﷺ قال: (إن لله ملائكة سيارة وفضلاء يلتمسون مجالس الذكر في الأرض، فإذا أتوا على مجلس ذكر حفّ بعضهم بعضا بأجنحتهم إلى السماء فيقول الله: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويهللونك، ويسألونك، ويستجيرون بك فيقول: ما يسألون؟ وهو أعلم بهم - فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا يا رب. فيقول: فكيف لو رأوها؟ ثم يقول : وممّ يستجيروني؟ وهو أعلم بهم - فيقولون من النار. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا فيقول: فكيف لو رأوها؟ ثم يقول: اشهدوا أني قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوني، وأجرتهم مما استجاروني. فيقولون: ربنا، إن فيهم عبدا خطاء جلس إليهم وليس منهم، فيقول: وهو أيضا قد غفرت له؛ هم القوم لا يشقى بهم جليسهم)"3".

ويستنبط من هذا الحديث:

أ) جواز الاجتماع للذكر

ب) تحقيق الأماني في هذا الاجتماع (وأعطيتهم ما سألوني). جاء عن عوف بن

---

1) فتح القدير 2 / 316.
2) الأنفال 46.
3) مسلم.

عبد الله - من كبار التابعين - ، قال: كنا نأتي أم الدرداء فنذكر الله عندها، قال: فاتكأت ذات يوم فقيل لها: لعلنا أن نكون قد أمللناك يا أم الدرداء؟ فجلست، فقالت: أزعمتم أنكم قد أمللتموني؟ قد طلبت العبادة بكل شيء فما وجدت شيئا أشفى لصدري ولا أحرى أن أدرك ما أريد من مجالسة أهل الذكر"1".

ج) إن هذا الذكر سبب للغفران، أخرج أحمد في الزهد عن ثابت البناني قال: إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام أمثال الجبال، وإنهم ليقومون من ذكر الله تعالى ما عليهم منها شيء"2".

د) إن هذا الذكر سبب للوقاية من النار.

هـ) تعدي بركة الاجتماع لمن حضر فيه ولو لم يكن من الذاكرين (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم).

3 - أما فتوى الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى - بأن هذا الاجتماع لم يكن مشروعا قط فلا يصح أن يعبد الله به، واستدل بفتوى الحسن البصري التي سئل فيها عن قوم من أهل السنة والجماعة لا يطعنون على أحد، يجتمعون في بيت هذا يوما فيقرؤون كتاب الله، ويدعون الله، ويصلون على النبي - ﷺ - ثم يختمون بالدعاء لهم وللمسلمين؟ فنهاهم الحسن عن ذلك أشد النهي. قال الشاطبي: لأنه لم يكن من عمل الصحابة، ولا التابعين، وكل ما لم يكن عليه عمل السلف الصالح فليس من الدين؛ فقد كانوا أحرص على الخير من هؤلاء، ولو كان فيه خير لفعلوه (اليوم أكملت لكم دينكم) قال مالك بن أنس: فما لم يكن يومئذ دينا لم يكن اليوم دينا، وإنما يعبد الله بما شرع"3".

فهذه الفتوى تعارض الأحاديث الصحيحة كحديث مسلم السابق، وغيره التي جاء فيها الترغيب في مجالس الذكر كقوله ﷺ : (غنيمة مجالس الذكر الجنة)"4" وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب القبر الشريف كما قال الإمام مالك.

---

1) الحلية 4 / 241.
2) الحاوي 394.
3) المعيار للونشريسي 11 / 40.
4) رواه أحمد بإسناد حسن / الترغيب والترهيب 2 / 405.

والاجتماع للذكر كان معلوما عند الصحابة"1"؛ فقد أخرج الإمام أحمد في الزهد عن ثابت قال: كان سلمان في عصابة يذكرون الله فمر النبي - ﷺ - فكفوا فقال: ما كنتم تقولون؟ قلنا: نذكر الله قال: إني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها ثم قال: (الحمد الله جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم).

وأخرج الطبراني وابن جرير عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال: نزلت على الرسول ﷺ وهو في بعض أبياته (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية، فخرج يلتمسهم فوجد قوما يذكرون الله تعالى، منهم ثائر الرأس، وجاف الجلد، وذو الثوب الواحد. فلما رآهم جلس معهم وقال: (الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم)"2".

- وكراهية الحسن البصري وبعض التابعين الذين يستند إليهم الإمام مالك سببها - كما قال الشيخ أحمد المبارك - إن علاج الأشخاص يختلف باختلاف الأوقات؛ فقد كان الصحابة - رضي الله عنهم - قبل الإيمان على غاية البعد من الله، ونهاية الصد عن سبيله، يفتخرون بسفك الدماء، ونهب الأموال، ويراءون الناس بالأعمال ولا عمل من عملهم إلا وهو مدخول وبالعلة مردود ومعلول فلما أمنوا بنور الوجود، وعلم الشهود - ﷺ - صدهم عن الأمور الدنيوية وأقبل بهم على الله تعالى بالكلية، وصارت أعمالهم كلها أخروية، وتولى الله تأديبهم، وتطهيرهم، وتهذيبهم حتى لو كشف لأحدهم الغطا ما ازداد يقينا، وحتى صار بعضهم ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق، وحتى قال بعضهم: كأني أنظر إلى عرش ربي وهو بارز، والناس في موقف الحساب. وحتى قال بعضهم: كأني أنظر إلى أهل الجنة وهم يتزاورون وإلى أهل النار يتعاوون. فكأنهم - رضي الله عنهم - بين يديه تعالى في المحشر يعاينون الحساب والميزان مضروبا إلى الجنان فصفت منهم الظواهر والبواطن.

فالحالة الأولى عملهم. والحالة الثانية علاجهم.

ولما انتهى الأمر إلى التابعين - رضي الله عنهم - ولم يصادفوا ذلك النور العام فاتهم من الإقبال على الله بقدر ما فاتهم من ذلك النور فصاروا يستكثرون من الأعمال الصالحة والأفعال الرابحة. ولكن دون بصيرة الصحابة - رضي الله عنهم –

فلما رأى الصحابة ذلك منهم جعلوا يعالجونهم وينبهونهم على ترك كل ما يقدح في

---

1) انظر نفس المرجع السابق 2 / 403.

2) الحاوي للسيوطي 392 والدر المنثور له 4 - 241.

كمال العبادة وترك كل مزاحم لعظيم ثوابها فـأمروهم بإخفاء العبادة وكل ما يقطع مادة الرياء، والعمل لغير الله، وحرضوهم على الإخلاص لله تعالى، وعلى الزهد في الدنيا. ولذا لم يحفظ عنهم في الغالب"1" اجتماع للعبادة إلا فيما طلب فيه؛ وذلك لأن فائدة الاجتماع هو التعاون على العبادة؛ فينشط الضعيف، ويتحرك الكسلان، وهم كانوا أقوياء في طاعة الله؛ فمنهم من يحيي الليل، ومنهم من يصوم الدهر، وهكذا حالتهم. ولذا هربوا من الاجتماع لما خافوا من علله.

وهكذا يكون علاج كل قرن بحسب ما يقدح في عبوديتهم.

فأما زماننا - نسأل الله السلامة - فعلتهم هو ترك الطاعة، والهجران للعبادة، والانهماك في الدنيا، غافلين عن أمور أخراهم حتى كأن الموت فرض على غيرهم، والنجيب من الناس الذي بلغ الغاية هو الذي يحافظ على الصلوات المكتوبة.

فهذه علة زماننا وعلاجها لا يصح أن يكون مثل علاج التابعين فإن التوفيق لا يقدر عليه إلا الصارم ومن شاخ في الطاعة وارتكب شاذها وفاذها، بل علاجها يكون بتهوين الحالة وترتيب المقال وكل ما يعين على الطاعة مما ليس بمعصية ينبغي تصويبه، ودلالة العوام عليه.

فمن أراد أن يمنع الناس اليوم من الاجتماع على الطاعة استدلالا بكلام الإمام مالك - رضي الله عنه - وقياسا على الصدر الأول من التابعين يقال له: هذا قياس مع وجود الفارق فهو قياس فاسد، واستدلال بارد"2".

وكيف يمنع وقد رغب فيه رسول الله - ﷺ - في عدد كبير من الأحاديث التي سبق ذكر بعضها.

4 - ومن الأذكار التي أباحها الشيخ عبد السلام الأسمر وسار عليها علماء التصوف، ذكر الله مفردا بقولهم: الله، الله. استنادا إلى الحديث الذي رواه مسلم أن النبي - ﷺ - قال: (لا تقوم الساعة على أحد يقول الله، الله) وفي رواية أبي جعفر أنه - ﷺ - قال : (لا تقوم

1) إنما قال في الغالب لأن الاجتماع قد جاء عن بعضهم كعون بن عبد الله وغيره وقد سبق الكلام عنه آنفا.

2) انظر مواهب الرحيم 76 – 78.

الساعة على أحد يقول لا إله إلا الله)"1" ووجه الدلالة إقراره - ﷺ - بالذكر المفرد والتسوية بينه وبين التهليل - لا إله إلا الله - في الدلالة على الذكر وعلى كلمة الإسلام يومئذ.

وقد قال ﷺ في حديث آخر : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة) أي إلى قرب القيامة فإن القيامة لا تقوم إلا على شرار الخلق كما بينه ﷺ في أحاديث أخرى"2":

- ويجب هنا أن نجيب عن سؤالين يعترض بهما المعترضون وهما:

1 - إن هذا ذكر لم يحدده ﷺ ، ولم يأت في أي من الصيغ المعروفة في الشريعة الإسلامية؛ فينبغي منعه؛ لأن التحديد لا يكون إلا منه ﷺ ، والتحديد من غيره تشريع، والتشريع ليس إلا لله ولرسوله ﷺ.

2 - إذا كان في الحديث الذي تستدلون به الإشارة إلى جواز الذكر المفرد فكيف لم يتفطن له الصحابة. والتابعون، وتابعوهم وهم الذين قال فيهم الرسول ﷺ (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم).

والجواب عن السؤال الأول أننا لا نسلم أن النبي ﷺ لم يحدده بل دل عليه وأرشد إليه في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم وقد سبق آنفا. ولو فرض جدلا أنه ﷺ لم يحدده فليس في هذا ما يضير ؛ لأن التشريع الممنوع - كما قال الشيخ القطعاني - هو التشريع في الأصول والأحكام وما حد بحد كالزكاة، والصلاة، والصوم، والطهارة، وغيرها؛ فمن جعل الظهر ركعتين مثلا أو خمسا فقد أتى بتشريع زائد، وحكمه البطلان وقس عليه سائر أحكام الدين.

ولكن ما ليس بتشريع زائد لا يصدق عليه هذا الحكم فلم يرد عن الشارع ما يمنع المسلم من أن يذكر ربه بما شاء ما دام لا يخرج عن تعظيمه، وتبجيله، وتسبيحه سبحانه، والاستغفار، والتوحيد، والصلاة على النبي - ﷺ - ؛ فعن رفاعة بن رافع الزرقي قال: كنا يوما نصلي وراء النبي - ﷺ - فلما رفع رأسه قال: (سمع الله لمن حمده) فقال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. فلما انصرف قال: (من المتكلم؟) قال: أنا.

---

1) انظر النووي على مسلم 2 / 178.
2) النووي على مسلم 2 / 178.

قال: (رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول).

ففي هذا الحديث الذي راوه البخاري لم يقل - ﷺ - لهذا الصحابي إنك قد أتيت بتشريع زائد، ولا إنك ابتدعت في الدين بل لم يزد على رد فيه البشرى"1".

أما السؤال الثاني فقد أجبت عنه في هذا الكتاب أكثر من مرة آخرها حين التحدث على دعاء الإمام بالناس بعد الصلاة.

5 - وجعل الصوفية لأتباعهم يومين يجتمعون فيهما للذكر، وقراءة ما يسمى بالوظيفة أو الحزب هما يوم الإثنين ويوم الخميس.

والسبب في اختيار هذين اليومين دون سائر الأيام هو حفاوة رسول الله - ﷺ - بهما، وحرصه على تأدية العبادة فيهما فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: (تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أي يعرض عملي وأنا صائم) حديث حسن غريب.

وعن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: (تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فمن مستغفر فيغفر له، ومن تائب فيتاب عليه. ويرد أهل الضغائن بضغائنهم حتى يتوبوا) رواه الطبراني ورواته ثقات"2".

ومشايخ الطريقة العروسية عندنا اليوم يجتمعون بعد صلاة العصر يوم الإثنين ويوم الخميس يقرءون وظيفة الشيخ عبد السلام الأسمر التي سأذكرها في آخر هذا البحث.

ونقل صاحب مواهب الرحيم أن الشيخ عبد السلام وقت لها ليلة الإثنين وليلة الجمعة"3" وليلة اليوم كيومه، وتأخيره لها يوم الخميس قد يكون سببه إما انشغاله بالمحاضرات إلى منتصف وقت العشاء. وإما اقتداء بيعقوب عليه السلام حينما طلب منه أبناؤه أن يستغفر لهم فقال:(سوف أستغفر لكم ربي) فقال بعض المفسرين إنه أخرهم إلى ليلة الجمعة؛ لما أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: قال النبي - ﷺ - في

---

1) الحجة 196.

2) انظر الترغيب والترهيب 2 / 124 – 125.

3) مواهب الرحيم 281.

قصه: (هو قول أخي يعقوب لبنيه: سوف أستغفر لكم ربي) يقول حتى تأتي ليلة الجمعة"[1]".
فيكون لها مزية في استجابة الدعاء.

1) فتح القدير 3 / 45 – 55.

الفصل الثامن

زيارة القبور

الزيارة:

دعت الشريعة الإسلامية إلى زيارة المقابر فقال ﷺ : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها"1"

والقبور في الحديث لفظ عام يشمل القبور القليلة والكثيرة، القريبة والبعيدة، قبور الرجال، والنساء، والأطفال.

وقوله - ﷺ - : (لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد) معناه لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد للصلاة فيه غير هذه الثلاثة - المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى - لتساوي باقي المساجد في الفضل.

ولا يدخل في هذا الحديث شد الرحال لطلب العلم أو المال أو زيارة الصالحين والأقارب"2"؛ لأن الحديث وارد في المساجد لا يشمل غيرها لقوله ﷺ : (لا ينبغي للمطي أن تشد رحاله إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا)"3".

2 - وبينت فوائدها التي تعود على الزائرين، ومن هذه الفوائد:

أ) إصلاح القلوب قال ﷺ : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإنها تذكر الآخرة، وتزهد في الدنيا)"4".

تناجيك أجداث وهن صموت   وسكانها تحت التراب خفوت
أيـا جـامع الدنيـا لغير بلاغة   لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

---

1) بلوغ المرام 116.
2) معيار الوزاني 2 / 21.
3) حديث حسن مجمع الزوائد 4 / 6.
4) بلوغ المرام 116.

ب) الحصول على الأجر العظيم

يتحصل الزائر للمقابر على الثواب والأجر الكبير؛ فقد أخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة قال: من دخل المقابر، واستغفر لأهل القبور، وترحم على الأموات فكأنما شهد جنائزهم والصلاة عليهم"1"

ولعل العبدوسي حينما قال: إن الزيارة ترفع الدرجات"2" كان مستند إلى هذا الأثر

ولهذا استحب في الزيارة زيارة الصالحين، قال الشيخ عبد السلام الأسمر : وعليكم بزيارة قبور الأولياء والصالحين وإذا زرتموها فسلموا على أهلها، وادعوا لهم بالرحمة، والمغفرة، والأدعية المأثورة عن النبي ﷺ . وإذا أردتم أن تقضوا حاجة فقدموا لها الدعاء لتكونوا بالله لا بأنفسكم"3".

جـ) الاستقرار النفسي وزوال الخوف:

تعتبر الزيارة علاجا نافعا للاضطرابات النفسية وتوترات الأعصاب أخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة حدثني محمد بن عبدالعزيز بن محمد وغيره عن بكر بن محمد أنه لما كان أيام الحرة ترك الأذان في مسجد رسول الله - ﷺ - ثلاثة أيام وخرج الناس إلى الحرة، ثم جلس سعيد بن المسيب في المسجد، قال - أي سعيد - فاستوحشت ودنوت من قبر رسول الله - ﷺ - ثم سمعت الإقامة، ثم لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول الله - ﷺ - حتى مضت الثلاث، وأقبل القوم، ودخلوا المسجد، وعاد المؤذنون فأذنوا، فتسمعت الأذان فلم أسمعه.

وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة"4"

والشاهد في هذا هو حصول الاستئناس، وزوال مظاهر القلق والخوف في القرب من قبور الصالحين.

---

1) شرح الصدور للسيوطي لوحة 89.
2) معيار الوزاني 2 / 25.
3) مواهب الرحيم 272.
4) شرح الصدور لوحة 83.

د) الحصول على الخير

من فوائد الزيارة أنها سبب من أسباب زيادة الخير والكرامة للإنسان الزائر؛ فقد أخرج الحاكم عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولتزدكم زيارتها خيرا)"1". وكلمة الخير في الحديث كلمة مطلقة تشمل أنواع الخيور الكثيرة، سواء في النفس، أو الأهل، أو الولد.

ويقف الناس موقفين من أجل ابتغاء الخير في زيارة القبور:

موقف يصدق هذا، ويعتقده، ويراه شيئا ملموسا يدركه، ويشعر به، وينصح الناس بناء على تجاربه وخبراته، ويصدقه الحديث الشريف السابق.

وعملية الانتباه للأشياء وآثارها. وعملية الإستبطان كما يقول علماء النفس - لا توجد عند الجميع.

ب. موقف لا يصدق هذا ولا يعتقده؛ إما لأنه يعتقد أن الأموات لا ينفعون، وإما لأنه جرّب فلم يصح له شيء من هذا الذي يقولون.

وأهل الموقف الأول لا يزعمون أن الميت ينفع وإنما يعتقدون أنهم يؤدّون عبادة لله تسبب في وجود الخير كما يتسبب الاستغفار فيه في قوله تعالى: (استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا)"2"

والإنسان في الدعاء قد يرزقه الله عين ما يطلب. وقد يعوضه بشيء آخر بدلا عنه، أو يدخر له ثوابه في الآخرة.

وإذا اعتقد الإنسان أن النافع والضار الحقيقي غير الله في أي عمل من الأعمال سواء كان زيارة أموات أو احترام رؤساء ومسؤولين فقد أشرك بالله.

---

1) المرجع السابق لوحة 9.

2) نوح 10 - 12.

(وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير)"1".

والزيارة إذا كانت تسبب في وجود الشرك للإنسان فينهي عنها كما كان النبي ﷺ ينهي عنها في أول الأمر.

3 - والزيارة بابها مفتوح في ليل أو نهار"2"، وأفضل أوقاتها يوم الجمعة؛ فقد أخرج الحاكم من حديث علي بن الحسين (أن فاطمة كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده) حديث مرسل. وأخرج البيهقي في شعب الإيمان مرسلا: (من زار قبر الوالدين أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب بارا)"3".

وقد تقدم أن المالكية يقبلون الحديث المرسل.

- و تحديد الزيارة بيوم معين من السنة قد ورد فيه حديث أخرجه الصنعاني في كتابه المصنف عن رجل من أهل المدينة عن سهيل بن أبي صالح عن محمد بن إبراهيم التيمي قال: كان النبي - ﷺ - يأتي قبور الشهداء عند رأس الحول"4".

اختلاف العلماء في هذا الحديث:

اجتمع في هذا الحديث أمران: الإرسال - سقوط الصحابي - والإبهام أي عدم ذكر اسم الرجل الذي روى عنه الصنعاني، ولهذا اختلف العلماء فيه هل هو حديث مقبول أو ضعيف؟

رأي الأحناف:

يرى الأحناف أنه يقبل الحديث المرسل: لأن التابعين بأسرهم أجمعوا على قبوله ولم يأت

---

1) الأنعام 18.
2) معيار الوزاني 2 / 33.
3) سبل السلام 2 / 115.
4) المصنف 3 / 573 – 574، وبقيته وكان أبو بكر وعمر، وعثمان يفعلون ذلك.

عنهم إنكاره، ولا عن أحد من الأئمة بعدهم إلى رأس المائتين"1". وكذلك الحديث الذي فيه مجهول لقوله تعالى: (إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا) أي تثبتوا حيث أوجب الله التثبت في قبول الأخبار عند العلم بفسق الناقل لها. ويعني هذا أنه عند عدم العلم بفسقه لا يجب التثبت ويجوز قبل خبره"2"

رأي غيرهم:

يرى غير الأحناف أن هذا الحديث ضعيف إما لإرساله وإبهامه وإما لإبهامه فقط"3" واختلف العلماء في العمل بالحديث الضعيف على ثلاثة مذاهب:

1 - المذهب الأول لا يعمل به مطلقا؛ لا في الفضائل. ولا في الأحكام.

وهو مذهب يحيى بن معين، وابن العربي، وابن حزم.

2 - المذهب الثاني أنه يعمل بالحديث الضعيف مطلقا.

ونسب هذا أبي داود. والإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - وأنهما يريان ذلك أقوى من رأي الرجال.

3 - المذهب الثالث أنه يعمل به في الفضائل. والمواعظ ونحو ذلك إذا توفرت فيه الشروط الآتية:

أ) أن يكون الضعف غير شديد فيخرج من انفراد من الكذابين، والمتهمين بالكذب، ومن فحش غلطه.

ب) أن يندرج تحت أصل معمول به.

---

1) مقدمة ابن الصلاح مع الهامش 141.

2) شرح تنقيح الفصول للقرافي 364.

3) الأحاديث الواردة في فضائل المدينة 620، مقدمة ابن الصلاح 140 - 141.

ج) أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الاحتياط"[1]".

- وإذا قلنا بجواز الزيارة في يوم معين من السنة كيوم العيد مثلا فيتحتم علينا أن لا نعتقد أن لذلك اليوم مزية على غيره في الزيارة، قال الشيخ العبدوسي: إن كانت الزيارة في ذلك اليوم لتفرغه من أشغاله فلا بأس به، وقد نص عليه ابن رشد في جامع البيان في زيارة القرابة الأحياء في الأعياد، وكذلك الأموات، ولا فرق"[2]".

4 - والنساء إذا خرجن للزيارة فيشترط لهن الستر، وعدم التبرج قال الله تعالى: (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)"[3]"

ولو كان المكان خاليا من غيرهن فينبغي لهن الاستحياء من أصحاب القبور، قالت السيدة عائشة الله - رضي الله عنها - فيما أخرجه أحمد والحاكم عنها: كنت أدخل البيت فأضع ثوبي وأقول: إنما هو أبي وزوجي. فلما دفن عمر معهم ما دخلته إلا وأنا مشدودة على ثيابي؛ حياء من عمر"[4]".

والشيخ عبد السلام قد أكد على الزيارة سواء كانت للأحياء أو الأموات ولكنه حذر منها إذا أدت إلى ممنوع شرعي يقول الشيخ: عليكم بالزيارة ما دام خروجكم لا يؤديكم إلى محرم أو مكروه مثل من يخرج للزيارة مع عدم رضى والديه، أو شيخه، أو يضر بعياله إذا خرج ولم يترك لهم ما يكفيهم ولا من يتكفل بهم"[5]".

---

1) أصول الحديث 351.
2) معيار الوزاني 2 / 22.
3) الأحزاب 33.
4) شرح الصدور للسيوطي لوحة 80.
5) مواهب الرحيم 264.

الفصل التاسع

- مقتطفات من وصايا الشيخ
- الوظيفة

مقتطفات من وصايا الشيخ :

1 - عليكم بتعليم أولادكم القرآن، وعقائد الإيمان، والفرائض، والواجبات، والسنن المؤكدات، والفضائل المندوبات. وعلموهم الحذر من المحرمات، والمكروهات؛ فإن لهم عليكم حقا. وأكرموهم، وعلموهم الآداب الشرعية، وكل ما يلزمهم مع الله تعالى. وعلموا أزواجكم وبناتكم ومماليككم فرائض الغسل، والوضوء ، والصلاة، والتيمم و كل ما يجب عليهم. وعلموهم الآداب الشرعية؛ لأن لهم عليكم حقا شرعيا وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

وعليكم بسعة الخلق مع أزواجكم وأولادكم فإن ذلك من مكارم الأخلاق.

2 - وعليكم بالتواضع لجميع خلق الله بر وفاجرا إن كان تقيا تقتبسوا منه نورا وإن كان فاجرا ففجوره على نفسه. وتواضعوا ولا تتكبروا؛ فإن التواضع طبع الأولياء والتكبر طبع الشياطين.

3 - وعليكم بتعلم الأدب في كل فعل من الأفعال، والأقوال فمن لم يتأدب فأفعاله وأقواله على غير صواب.

والبركة في العلم. والعلم هو الأدب.

وإن صافحكم مسلم فتأدبوا معه وإن كان عاصيا وقلوبكم تلعنه. فمن لم يتأدب مع جميع المسلمين فقد أخطأ طريق الحق والصواب.

4 - اعلموا أن محبته ﷺ لا تصح إلا باتباع سنته. ومن أحبه وادعى محبته ولم يتبع طريقه فهو كاذب في محبته؛ لأن حقيقة المحب أن لا يخالف محبوبه في شيء وإلا فليس بمحب فشرط المحبة طاعة المحبوب في كل شيء وإلا فلا عبرة بها.

5 - ويجب عليكم أن تعتقدوا في حق رسول الله ﷺ أنه لا يفضل عليه شيء لا رسول ولا ملك، ولا ولي، ولا عالم، ولا جن، ولا إنس، ولا غير ذلك. بل هو أفضل من كل ما خلق الله عز وجل.

6 - وعليكم بمحبة أهل العلم فإنهم أصحاب النور في الدنيا والآخرة. ومنهم يخرج الحق، وبهم يدفع الباطل. ومحبتهم واجبة عليكم. فتأدبوا معهم غاية الأدب.

7 - وعليكم بالتواضع للوالدين والأدب معهم غاية الأدب ولا تعصوه طرفة عين قط في شيء من الأشياء ولو كانوا عصاة إلا إن يأمروكم بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وكذلك إذا كانوا كفار فلابد من التواضع لهم وإبرارهم، وكفرهم على أنفسهم.

بهذا أمركم الله ورسوله - ﷺ - .

8 - وإياكم أن تفعلوا شيئا من الأفعال الدنيوية والأخروية لغرض من الأغراض فالذي عرف الله ودخل في طريقتنا هذه لا يفعل شيئا إلا لوجه الله تعالى.

9 - وإياكم ومخالطة أهل الهوى، والبدعة، والخوارق، والمستدرجين فإنكم لا تنالون منهم إلا الظلمة، والشك في الاعتقادات الجميلة فلا تخالطوهم ولا تقربوهم.

10 - وإياكم وصحبة الأراذل، والفساق ومن لا يوافقكم في"1" طريقكم فإنكم لا تنالون منه إلا العلة والعطلة، وفساد القلب، ومجالستهم تذهب الأنوار كما تذهب الشمس الجليد"2".

---

1) لعل في هنا بمعنى على.

2) انظر مواهب الرحيم 257 - 276.

وظيفة الشيخ عبد السلام:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الفاتحة (ثلاثا) والمعوذتين (ثلاثا).

سبحان الله والحمد لله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (ثلاثا).

فضلا من الله ونعمة. شكرا من الله ورحمة. الحمد لله على التوفيق ونستغفر الله في كل تقصير. غفرانك ربنا وإليك المصير نعم المولى ونعم النصير (ثلاثا).

سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب (ثلاثا).

سبحانك ما عبدناك حق عبادتك سبحانك ما عرفناك حق معرفتك ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي دائم لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير (ثلاثا).

ثم تقول: وإليه النشور مرة واحدة إن كنت في الصباح وإن كنت في المساء قلت وإليه المصير.

لا إله إلا الله الملك الحق المبين.
لا إله إلا الله الملك الحق المتين.
لا إله إلا الله الملك الحق اليقين.
لا إله إلا الله أرحم الراحمين.
لا إله إلا الله أكرم الأكرمين.
لا إله إلا الله حبيب التوابين.
لا إله إلا الله غياث المستغيثين.
لا إله إلا الله أبدا حقا.

لا إله إلا الله إيمانا وصدقا.
لا إله إلا الله تلطفا ورفقا.
لا إله إلا الله تعبدا ورقا.
لا إله إلا الله القوي الجبار.
لا إله إلا الله الواحد القهار.
لا إله إلا الله الحليم الستار.
لا إله إلا الله العزيز الغفار.
لا إله إلا هو رب كل شيء.
لا إله إلا هو قبل كل شيء.
لا إله إلا هو بعد كل شيء.
لا إله إلا الله يبقى ربنا ونفنى ويموت كل شيء.
لا إله إلا الله المعبود في كل مكان.
لا إله إلا الله المذكور بكل لسان.
لا إله إلا الله المعروف بالإحسان.
لا إله إلا الله الحليم المنان.
لا إله إلا الله العزيز الرحمان.
لا إله إلا الله العظيم السلطان.
لا إله إلا هو كل يوم هو في شأن.
لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. لا شيء قبله، ولا شيء بعده.
لا إله إلا الله له النعمة وله الفضل، وله الثناء، وله الإحسان.
لا إله إلا الله لا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

هو الأول والآخر، والظاهر، والباطن، وهو بكل شيء عليم.

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير (ثلاثا) من حسبنا إلى النصير.

ثم تشرع في التهليل سبحة (100 حبة) لا إله إلا الله.

ثم تشرع في الذكر وهو الجلالة خاصة (الله. الله) يذكره الإنسان مرفوعا بالمد إلى أن يقع في القلب نشاط وحضور ثم يذكره مجزوما بلا مد حتى تظهر الخمرة وهي السكر. والسكر هو الغيبة عما سوى الله"1".

أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمد رسول الله (ثلاثا).

اللهم أحينا عليها وأمتنا عليها وانفعنا بها عند الشدائد والحاجة إليها يا رب العالمين يا الله (ثلاثا).

اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء ولا تخالف بنا عن طريق الهدى يا رب العالمين يا الله (ثلاثا).

ثم تدعو بما شئت سرا إن كنت وحدك وكذلك إن كانوا جماعة دعا بهم إمامهم وأكبرهم قدرا.

ثم بعد ختم الدعاء المذكور تقول جهرا:

أجب دعانا يا مولانا أجب دعانا وارحمنا يا الله.
أجب دعانا يا مولانا أجب دعانا واجبرنا يا الله.
أجب دعانا يا مولانا أجب دعانا واسترنا يا الله.
أجب دعانا يا مولانا أجب دعانا واحفظنا يا الله.
أجب دعانا يا مولانا أجب دعانا ولا تفضحنا يا الله.

صلوات دائمات طيبات على محمد (ثلاثا).

سلام دائم طيب على محمد (ثلاثا).

تحيات زاكيات طيبات على محمد (ثلاثا).

---

1) الذكر هنا شرع للمبتدئين في الطريق وجعل مبدأ الإلحاح والتكرار وسيلة لرسوخ المعنى في القلب. ولأن الغيبة ضعف فينبغي هنا الوقوف وذكر الكلام الذي يتغلب به الإنسان على هذا الضعف. وقد سبق الكلام على هذا في فصل الوجد.

يا ذا الجلال والإكرام يا الله اختم لنا بالإسلام يا الله (ثلاثا).

يا ذا الجلال والإكرام والعزة القاهرة ثبتنا بالقول الثابت في الدنيا والآخرة (ثلاثا).

آمين آمين آمين يا رب العالمين (ثلاثا).

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

ثم الفاتحة (ثلاثا).

(إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) مرة.

اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك، ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما (ثلاثا).

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين"1".

فرغت من كتابة هذا الكتاب صبيحة يوم السبت 26 / 11/ 1994م عند الساعة العاشرة ببلاد تاجوراء التي هي من ضواحي طرابلس بليبيا.

وأدعوا الله سبحانه وتعالى أن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وأن ينفع به كل من قرأه أو دعا إليه أو له إنه سميع مجيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

1) انظر مواهب الرحيم 285 - 287.

الفهارس

فهرس المراجــع

فهرس المواضيع

فهرس المراجع

1. القرآن الكريم

2. كتب الحديث:

3. أصول الحديث علومه ومصطلحه للدكتور محمد عجاج الخطيب ط الرابعة 1981 دار الفكر للطباعة.

4. بلوغ المرام من أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر العسقلاني دار الفكر.

5. الترغيب والترهيب للحافظ زكي الدين المنذري دار الكتب العلمية بيروت

6. الترمذي مع العارضة للحافظ ابن العربي المالكي دار الباز للطباعة والنشر.

7. التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي المكتب الإسلامي.

8. سبل السلام للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني دار إحياء التراث العربي بيروت.

9. شرح الصدور بشرح حال الموت والقبور للحافظ جلال الدين السيوطي مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 47621 وهو تحت التحقيق.

10. صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند لمحمد ناصر الدين الألباني مكتب التربية العربي لدول الخليج.

11. الأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمعا ودراسة للدكتور صالح بن حامد الرفاعي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط أولى 1992.

12. البخاري مع فتح الباري لابن حجر العسقلاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

13. المصنف للحافظ عبد الرزاق الصنعاني المجلس العلمي ط أولى 1971.

14. الفتح الرباني على مسند الإمام أحمد بن حنبل.

15. محمد رسول الله ﷺ شمائله الحميدة وخصاله المجيدة عبد الله سراج الدين .

16. مسلم بشرح النووي المطبعة المصرية.

17. النسائي مع شرح جلال الدين السيوطي دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

18. نيل الأوطار للشوكاني مع منتقى الأخبار ط أخيرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

19. كتب أخرى:

20. تاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة ط أولى.

21. حاشية العدوى على الرسالة مع كفاية الطالب الرباني مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1938.

22. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني مطبعة السعادة بمصر 1935.

23. دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات و مذاهب للدكتور محمد جلال شرف دار النهضة العربية بيروت 1980

24. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ جلال الدين السيوطي مطبعة الأنوار المحمدية.

25. رحلة الحشائشي إلى ليبيا لمحمد بن عثمان الحشائشي تحقيق علي مصطفى المصراتي دار لبنان للطباعة والنشر ط أولى 1965.

26. الروح لابن قيم الجوزية دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

27. سيكولوجية اللعب تأليف الدكتورة سوزانا ميلر ترجمة الدكتور حسن عيسى إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت.

28. شرح ابن ناجي على الرسالة لقاسم بن عيسى التنوخي مطبعة الجمالية بمصر 1914.

29. شرح زروق على الرسالة مطبعة الجمالية بمصر 1914.

30. الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي لأحمد الدردير دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

31. الطبقات الكبرى لابن سعد دار الفكر 1985.

32. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير لمحمد الشوكاني دار المعرفة للطباعة بيروت لبنان.

33. الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ عضو هيئة كبار العلماء ط خامسة دار الكتاب العربي بمصر.

34. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة لأبي الوليد بن رشد ط أولى 1987 دار الغرب الإسلامي.

35. الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون للحافظ جلال الدين السيوطي دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

36. الحجة المؤتاة في الرد على صاحب كتاب إلى التصوف يا عباد الله لأحمد سالم القطعانى درنة ليبيا 1991م

37. الفتاوي الكبرى الفقهية لابن حجر المكي الهيثمي ومعها هامش الرملي ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي.

38. الفروق للقرافي مع تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية لمحمد بن علي بن الشيخ حسين مفتي المالكية مطبعة دار إحياء الكتب العربية ط أولى 1346.

39. القطب الأنور عبد السلام الأسمر للشيخ أحمد القطعاني الناشر حسن الخراز وحمدي عبد الفتاح 1993.

40. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف للحافظ زين الدين بن رجب.

41. المدخل لابن الحاج ط أولى 1960 مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

42. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي تأليف أحمد المقري الفيومي المطبعة الأميرية ببولاق مصر 1906.

43. المعيار للوزاني الحسني وهو مكتوب كتابة حجرية.

44. المعيار للونشريسي أحمد بن يحيى دار الغرب الإسلامي بيروت

45. المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب لأحمد النائب منشورات مكتبة الفرجاني بطرابلس.

46. مجموع فتاوي ابن تيمية دار عالم الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع.

47. مختار القاموس للأستاذ الطاهر أحمد الزاوي ط أولى 1964 مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

48. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

49. مراسم الجنازة في الشريعة الإسلامية دفاع عن عاداتنا الاجتماعية في مناسبات المآتم للمؤلف وهو لا يزال ينتظر الطبع.

50. مقدمة ابن خلدون مكتبة المثنى بغداد.

51. مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح تحقيق عائشة عبد الرحمن مطبعة دار الكتب 1974.

52. مواهب الرحيم في مناقب مولانا الشيخ عبد السلام بن سليم وهو مختصر من تنقيح الأزهار للبرموني تلميذ الشيخ لمحمد بن محمد بن عمر بن مخلوف طبع على ذمة الشيخ السيد الحاج صالح العسلي التاجر الكتبي بحاضرة تونس 1325هـ.

53. نهاية السول مع شرح البدخشي جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي مطبعة محمد علي صبيح.

فهرس المواضيع

الفصل الثالث

رأيه في الأموات

الفصل الرابع

فداء الميت

الفصل الخامس
الختم البغدادي

الفصل السادس

البدع

الفصل السابع

الاجتماع للذكر

الفصل الثامن

زيارة القبور

الفصل التاسع

الفهارس

سبب إنشاء هذا الكتاب الإلكتروني

بعدما قمت بتصوير كتاب (عبد السلام الأسمر آراؤه وأفكاره في ميزان الشريعة الإسلامية) بالهاتف وتحويله إلى كتاب PDF تبين لي أن بعض الحروف أصبحت غير واضحة بسبب التصوير، فهذه الحروف تظهر في الكتاب واضحة قليلا ويمكن رؤية الحرف كاملا، ولاكن عند تصوير الكتاب بعض هذه الحروف لم تظهر في الصور وبعض هذه الحروف ظهرت غير كاملة.

فقررت إنشاء هذا الكتاب الإلكتروني لأقوم بدمج (ملف الكتاب الإلكتروني) مع (ملف النسخة الأصلية لهذا الكتاب PDF) في ملف واحد، بحيث يكون الكتاب الإلكتروني في المقدمة ويليه النسخة الأصلية لهذا الكتاب.

وعندما يجد القارئ في إحدى صفحات النسخة الأصلية لهذا الكتاب كلمة بها حرف غير واضح يقوم بالرجوع إلى هذا الكتاب الإلكتروني لمعرفة هذه الكلمة.

للأمانة يجب أن أوضح ما قمت به في هذا الكتاب، توجد أخطاء مطبعية قمت بتصحيحها في الكتاب كالأتي:

الخطأ المطبعي	الصواب	رقم الصفحة (النسخة الأصلية للكتاب)
أراؤه	آراؤه	غلاف الكتاب
أرائه	آرائه	6
يستهزي	يستهزئ	12
المرؤة	المروءة	12
إن الله	أن الله	12
لما	لم	13
فهما	فمهما	13
بريئ	بريء	13
توابا	ثوابا	14
الرسول الله ﷺ	رسول الله ﷺ	21
قولي	قولوا	21
أرضي	أرضى	21
سمى	سمي	22
واحدة	واحد	22
الأحاديت	الأحاديث	22
مرأي	مرأى	22
أنجي	أنجى	23
تميمية	تيمية	23
بمشهود	بمشهوده	25
ألقي	ألقى	25
فصلي	فصلى	26
ينهي	ينهى	27
استغن	استغنى	28
ملاحضتهم	ملاحظتهم	29
ملاحضته	ملاحظته	29
ناشء	ناشيء	30
الكادبة	الكاذبة	30
صدرت من	صدرت منه	30
المحهض	المحض	31
يفني	يفنى	34
يجأرون إلى	يجأرون إلي	36
آتتيناه	آتيناه	38
شهداء لله	شهداء الله	38
مر بجنازة	مروا بجنازة	38
مشاهديها	مشاهدتها	41
يرى	يري	41
رأي	رأى	42
من أبي	من أبى	42
يهييج	يهيج	48

تريد	ثريد	51
اعتناما	اغتناما	53
اسحباب	استحباب	54
بالنسبة	بالسنة	54
نار	نارا	55
علي	على	59
صلى على	صلى علي	59
يأيها الناس	يا أيها الناس	59
يكفي	يكفى	59
تتلي	تتلى	60
مرجع	المرجع	60
بكى	بكيّ	62
تنقشه ـ لتعزله	تنفشه ـ لتغزله	62
حر	حرم	64
القرآ،	القرآن	66
استثناهم	استثناهم	67
يقضة	يقظة	67
أبي	أبى	70
يسمي	يسمى	71
للدعائه	لدعائه	73
حى	حيي	75
يستحى	يستحي	75
يردها	يردهما	75
الأمام	الإمام	75
المبادىء	المبادئ	75
المقريء	المقرئ	75
أحد أحد	أحد	79
المثور	المنثور	80
رسول ﷺ	الرسول ﷺ	80
مسلم مع النووي	النووي على مسلم	82
الترغيب الترهيب	الترغيب والترهيب	83
بالوضيفة	بالوظيفة	83
غفار	غفارا	89
جنت	جنات	89
مسئلين	مسؤولين	89
يأـي	يأتي	90
رضي	رضى	91
المستغثين	المستغيثين	96
تحقيق على	تحقيق علي	103
الدكتور	الدكتورة	103
للطبعة	للطباعة	104
للحافظ للحافظ	للحافظ	104

رعالم الكتاب	عالم الكتب	105
السوك	السول	105
الحاديث	الأحاديث	108
لرسول الله ﷺ	رسول الله ﷺ	108
رضي الله عنه	رضي الله عنها	23 - 91
يقرؤن	يقرؤون	66
فيقرؤن	فيقرؤون	79
يحيي	يحيى	90
يحي	يحيى	20 - 105
المعني	المعنى	64 - 98
سيكلوجية	سيكولوجية	23 - 103
السوي	السوى	23 - 24 – 27
وضيفته	وظيفته	93 - 110
الوضيفة	الوظيفة	27 - 60
وضيفة	وظيفة	83 - 96
الشئ	الشيء	73
بشئ	بشيء	25 - 31 - 89
شئ	شيء	24-26-31-62 65-74-78-94 95-97-98

قمت بكتابة هذه الكلمات بدون همزة

الإصطلاح - الإحتياط - الإستحياء - الإنتباه - الإستئناس - الإستقراء - الإنفعالات - الإستماع - الإنبساط - الإتصال - الإستدراج - إتباع - الإتباع - لإنحراف - الإنحراف - للإختلاف - بـإختلاف - الإختيار - الإختيارية - الإضطرارية - الإتساع - الإحترام - الإستغفار - الإبتعاد - الإبتداع - الإعتقادات - لإختفاء - الإعتراف - الإتفاق - الإستحباب - الإنصراف - الإضطراب - للإضطرابات - الإحتفال - الإحتفالات - بالإحتفالات - الإستفادة - الإحتجاج - الإعتراضات - الإعتراض - الإقتداء - الأستدلال - الإستدلال - الإلتزام - الإجتماع - للإجتماع - الإجتماعات -الإجتماعية

قمت بكتابة الهمزة في هذه الكلمات

(الاسمر / الاسلامية / الاستاذ / الصفحة: غلاف الكتاب) - (انظر/ رقم الصفحة: 15 - 80) - (الاوطار / للاقراء / الاجابة / ان / اذا / اليه / الى / الانسان / رقم الصفحة: 75) - (احمد/ رقم الصفحة: 79 - 105) - (الاول/ صفحة: 7) (اكثر/ صفحة: 28) (الاكثار/ صفحة: 14) (الاموات/ صفحة: 33) (اقره/ صفحة: 37) (الاسكندري/ صفحة: 20)

ملاحظة: كل هذه الكلمات السابقة التي قمت بتصحيحها بعضها كتبت أيضا بشكل صحيح في النسخة الأصلية لهذا الكتاب.

قمت بتصحيح أخطاء مطبعية أخرى كالأتي:

1 - قمت بإضافة كلمة (بهم) إلى جملة (هم القوم لا يشقى جليسهم) الموجودة في صفحة 79، قمت بذلك لأن جملة (لا يشقى بهم جليسهم) مذكورة في الحديث الشريف الموجود في صفحة 78.

2 - قمت بإضافة (في) قبل كلمة (الأرض) المذكورة في الحديث الشريف الموجود في صفحة 78.

3 - قمت بتصحيح الحديث الشريف الموجود في صفحة 13، الصواب هو (قليل العمل مع العلم كثير، وكثير العمل مع الجهل قليل بحسب التوبة والقبول).

4 - قمت بإضافة حرف (ط) قبل جملة (أولى 1992) في صفحة 102، حرف (ط) هو اختصار لكلمة طبعة كما موضح في فهرس المراجع.

أخطاء مطبعية لم أقم بتصحيحها:

1 - كلمة (جزاء) في صفحة 60، أعتقد أن الكلمة الصحيحة هي (جزءا).

2 - كلمة (قائدته) في صفحة 22، أعتقد أن الكلمة الصحيحة هي (مائدته).

علامات الترقيم:

- عدد قليل جدا من الجمل لا يوجد بها القوس ( ) أو الشرطة (-) أو الشرطتان (- -) أو النقطتان (:) فقمت بإضافة ذلك.

- لم أقم بتصحيح الفاصلة أو النقطة التي لم تظهر لي بشكل واضح في النسخة الأصلية للكتاب، قمت بجعل لونها باللون الأخضر(،.) للدلالة على عدم وضوحها.

المسافة بين الكلمات: بعض الكلمات لا توجد بينها مسافة فقمت بجعل مسافة بينها، مثل (تقتبسوامنه نورا) في صفحة 94، (تقتبسوا منه نورا).

انتهى الكتاب الإلكتروني ويليه النسخة الأصلية لهذا الكتاب

عبدالسلام الاسمر

أراؤه وأفكاره في ميزان الشريعة الاسلامية

الوجد وضرب البندير

رأيه فى الأموات

فداء الميت

الختم البغدادي

البدع

الاجتماع للذكر

زيارة القبور

الاستاذ/ محمد عزالدين الغرياني

عبدالسلام الاسمر

أراؤه وأفكاره في ميزان الشريعة الاسلامية

الوجد وضرب البندير

رأيه فى الاموات

فداء الميت

الختم البغدادي

البدع

الاجتماع للذكر

زيارة القبور

الاستاذ/ محمد عزالدين الغرياني

عبدالسلام الاسمر

آراؤه وافكاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه وعترته الطاهرين

أما بعد...

فما رأيت في بلادنا اختلافا حول شخصية ما كاختلاف الناس في الشيخ عبدالسلام الأسمر؛ ففريق يلحقه بالرعيل الأول، والسلف الصالح، والعلماء العاملين، والقدوة المربين. ويعتبره علما من أعلام ليبيا التي تعتز بنسبته إليها، ووجوده على ظهرها، وبقاء آثاره الخالدة العامرة في ربوعها.

وفريق يلحقه بالدراويش والمجاذيب الذين رفع عنهم القلم، والذين وإن جوزنا التبرك بهم وبزيارتهم فلا يؤذن لأحد في الإقتداء بهم، واقتفاء آثارهم، وتتبع سلوكهم.

ومن العجب كل هذا الاختلاف في الشيخ مع أنه يعتبر من أكبر الرموز التي عرفتها الديار الليبية في خدمة العلم والقرآن؛ فمع حياته الطويلة في تدريس العلوم المختلفة الفقهية، واللغوية، والصوفية والفكرية، في مدة تقترب من قرن أو تزيد أو تنقص قليلا أدى معهده، ومدرسته من الخدمات العلمية ما لم تؤده أي مدرسة أخرى سواء من حيث الكثافة، أو من حيث المدة الزمنية الطويلة عبر القرون إلى يوم الناس هذا.

وما من مدرسة، أو معهد فقهي، أو قسم من أقسام اللغة العربية في غرب البلاد، وشرقها، وشمالها وجنوبها إلا وفيه من درس في المعهد الأسمري، أو تتلمذ على من درس فيه مباشرة، أو بفاصل شيخ أو شيخين أو ثلاثة.

ولا يستثنى من هذا الحكم معهد الظهرة بطرابلس. أو الجامعة بالبيضاء، أو أي قسم من أقسام الدراسات الإسلامية في مختلف الجامعات المنتشرة في أرجاء بلادنا.

وما زالت البلاد تعرف رموزا كبيرة ممن تخرجوا في المعهد الأسمري كالشيخ امحمد اجوان، وعلي اجوان، والطيب المصراتي. ومصطفى التريكي، وفرج السوقي، والأستاذ عمر التومي الشيباني أستاذ التربية. والعلوم النفسية وغيرهم من الأساتذة، والمدرسين، والمؤلفين الذين أدوا خدمات جليلة، وساهموا في نشر العلم

والفضلية.

ولا أدعي أنني في هذه الدراسة سأقوم بدراسة حياة الشيخ من ألفها إلى يائها، ومن بدايتها إلى منتهاها، أو أنني سأتعرض لكل أرائه، وأفكاره، بل إنني سأتعرض لآرائه التي يثور النقاش حولها كلما ذكر الشيخ، أو ذكرت وصاياه. وأكثر هذه الآراء سببا في تشعب الأقاويل رأيه في:

1- الوجد وما يصاحبه من ضرب البندير.

2- الأموات حياتهم، وسلوكهم، والانتفاع بهم.

3- فداء الميت وما يلزم عنه من تجويز الاجتماع لأهل الميت، وعمل ما يسمى عندنا بالتاليف.

وسأقوم بدراسة الاحتفالات التي تقام في مختلف مناطق البلاد فيما يسمى بختم البغدادي عند ذكر اعتناء الشيخ بالصلاة على رسول الله -ﷺ- ، وبالتعرض لرأي الشيخ في مخالطة أهل البدع، وفي الإجتماع للذكر، وفي الزيارة.

كل هذا في ضوء الشريعة الإسلامية، ومن خلال هدي نبينا محمد -ﷺ- وحياة صحابته المباركين، والسلف الصالح من التابعين وتابعي التابعين.

وأختم الدراسة بكتابة مقتطفات من وصايا الشيخ، وكتابة وظيفته.

فإن وفقت فمن الله، وما توفيقي إلا به عليه توكلت، وإليه أنيب.

الفصـــل الاول

اسمه ومولده

تعلمه وتعليمه

كتابته

سماتـــه

وفاتـــه

اسمه:

عبدالسلام بن سليم بن محمد بن سالم الفيتوري، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي وفاطمة الزهراء -رضي الله عنهم-.

ولقب الفيتوري انتقل إليه من جده الحادي عشر. وسبب تلقيب جده بهذا اللقب أنه لما غزاهم أولاد سعيد المخزومي في طرابلس قتلوا كل من وجدوا منهم، وبقروا بطون الحوامل حتى أفنوا النسل، ولم ينج منهم إلا ولدين: أحدهما اسمه خليفة خبأته أمه في حثالة زيتون واقع في معصرة، والذي يعبر عنه بالفيتورة. والثاني اسمه يوسف خبأته أمه في عوسجة فلقب بالعوسجي، ولقبت ذريته بالعواسج[1].

واشتهر الشيخ عبدالسلام بالأسمر لمبيته الليالي سمرا في طاعة الله[2].

مولده:

ولد يوم الإثنين ليلة اثنى عشر من ربيع الأول سنة 880هـ 1475م بزليطن لأبوين كريمين، وكان وحيد أبويه حيث توفي أبوه وكان عمر الشيخ سنتين وشهرين[3].

تعلمه:

تولى رعايته بعد موت أبيه عمه أبو العباس أحمد بن محمد الفيتوري، ووجهه لحفظ القرآن فحفظه وهو ابن سبع سنين وعلمه مبادئ النحو، والفقه، والتوحيد، والمنطق، وبعد ذلك انتقل به إلى امسلاته حيث تتلمذ على العلامة المربي عبدالواحد الدوكالي فقرأ عليه رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل، والحكم لابن عطاء الله الإسكندري، ودرس عليه التوحيد، والمعقول، ولازمه حتى صار فقيها متفننا[4].

1) المنهل العذب 221، مواهب الرحيم 104 - 108
2) مواهب الرحيم 123.
3) رحلة الحشائشي إلى ليبيا 108 مواهب الرحيم 129.
4) مواهب الرحيم 129 - 333.

تعليمه:

تصدر الشيخ للقيام بعملية التعليم، وقدم أنموذجا فريدا في التفاني في خدمة العلم لم يعهد إلا عند السلف الصالح أو من سار على طريقهم من الدعاة المصلحين. قسم فيه دروسه ومحاضراته في مختلف العلوم على الشكل الآتي:

المحاضرة الأولى: في علوم التوحيد. وتبتدئ من الضحى إلى صلاة الظهر.

المحاضرة الثانية: في علوم الفقه، وتبتدئ من الظهر إلى العصر، وهي في الحقيقة متكونة من محاضرتين حيث كان يجعل جزءا من هذه الفترة لرسالة ابن أبي زيد القيرواني والجزء الثاني لتدريس مختصر خليل.

والرسالة كتاب فقهي، ميسر، سهل العبارة يشتمل على العقائد، والعبادات، والأحوال الشخصية، والمعاملات، والجنايات، والفرائض، والأخلاق.

ومختصر خليل هو عمدة المتأخرين من فقهاء المالكية، وعليه تعويلهم في الفتوى حيث بين فيه المشهور، والصحيح، والضعيف، وهو يضم مائة ألف مسألة في مختلف أبواب الفقه، وحجم المختصر يقترب من ثلثي القرآن. وكان يدرس بكلية الشريعة.

ومن أشهر من شرحه الإمام الحطاب «وهو أحد أتباع الشيخ عبدالسلام»[1].

وقد اختصر الشيخ خليل كتابه هذا من كتاب جامع الأمهات لابن الحاجب المالكي الذي جمع فيه ستين من أمهات الفقه المالكي كالمدونة، والتهذيب، والتفريع، والبداية، والواضحة، وغيرها من الأمهات.

وهذا الجامع يعتبر بحق من أهم المراجع ومصادر الفقه المالكي ألفه أحد الأئمة المجتهدين في المذهب، وكان الشيخ عبدالسلام يحفظ هذا الجامع عن ظهر قلب[2]. وقد قمت مع والدي وإخوتي بشرح أجزاء متعددة منه على حسب الدليل والبرهان.

1) المرجع السابق 340.

2) ويحفظ أيضا المعيار والمدخل / انظر نفس المرجع السابق 140.

المحاضرة الثالثة: في علوم التربية والسلوك، وتبتدئ من صلاة العصر إلى صلاة المغرب، وكان الكتاب الذي يحاضر فيه هو كتاب الحكم العطائية لابن عطاء الله الإسكندري.

المحاضرة الرابعة: في علوم النحو والمعقول، وتبتدئ من صلاة المغرب إلى وسط وقت العشاء، وهي في الحقيقة متكونة من محاضرتين؛ محاضرة للنحو، ومحاضرة للمعقول.

كتابتــــــه:

تتميز كتابة الشيخ عبدالسلام بالفصاحة، والعذوبة، والسهولة، واليسر، ومراعاة مقتضيات الحال، وما يستدعيه المقام من المقال ويرجع السر في هذا التميز إلى أمرين:

أحدهما: أدبي وهو التأثير بالمقطوعات الرائعة التي صاغها الشيخ أبو الحسن الشاذلي في أحزابه المتعددة، وابن عطاء الله الإسكندري في كتابه الحكم الذي بلغ من البلاغة، وفن القول ما لا تجد له مثالا يدانيه في التعبير الصوفي الرفيع.

وقد عكف الشيخ على تلاوة أحزاب الشاذلي، وعلى درس وتدريس كتاب الحكم.

والثاني: ديني حيث صدر الشيخ نفسه للدعوة والإصلاح وسط بيئة فيها الجاهل والعالم، والمبتدئي والمنتهي، والفلاح، والصانع، والراعي.

والداعية الناجح هو الذي يستطيع في محاضراته، ودروسه أن يكلم كل هؤلاء بلغة واحدة ولسان واحد مبين كأنه أوتي جوامع الكلم.

نموذج من كتابة الشيخ:

لعل أفضل نموذج يمثل شخصية عبدالسلام الأسمر العالم المتبحر والكاتب القدير الذي يملك أدوات الكتابة هي رسالته التي كتبها إلى أتباعه بإفريقية بمنطقة تمبكتو بمالي.

والتي تعطينا صورة تقريبية لمستوى المحاضرات التي كان يلقيها، وانطباعا لميله

إلى التوضيح، والبسط. وتحرير المقال، والاستدلال بالمنقول من السنة، وآثار السلف الصالح، وتجعلنا قريبين من حاسة الذوق الجمالي للشيخ عندما يتحدث فيها عن موضوع الزواج. يقول الشيخ فيها:

وتعلموا النحو؛ فإنه زين الكلام، وجمال المنطق، وقوام اللسان. وهو علم من أشرف العلوم؛ يزيد المرء بعلمه فهما، وفضلا، ويكبره عند العلماء، ولايتم اللفظ، أو الشعر إلا به. وفي الحديث «أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن».

واعلموا أن من اعتنى به مع حصول فرض العين إلى أن اقتصر على بعضه، وعلم منه ما يصلح به لسانه، واجتنب التوغل فيه فحسن.

ولا ينبغي للنحوي أن يرى نفسه فوق غيره تكبرا، ولا يحل له أن يستهزئ بكلام الغير إذا قارنه اللحن؛ لأن الجل من الناس برابر وأعجام، ومنهم من لايقرأ ولا يكتب. وقد قال بعضهم: إذا فهمت المعاني فلا مشاحة في الألفاظ.

ولا ينبغي التعمق في المنطق، وقد حرمه الشيخ النووي وجماعته، والمشهور جوازه لمن كمل عقله، وذلك مذهب الجمهور. وقال شيخنا: علم المنطق علم شريف يحتاج إليه في كل شيء، فمن لم يتوغل في النحو والمنطق لاثقة لي بعلمه؛ لأن من لا يذكرها لا يجوز له القدوم على التصانيف، وقراءة الأحاديث، والتفاسير.

وقد ورد الكلام في فضل العربية، والحث عليه، قال عليه الصلاة والسلام: «رحم الله امرءا أصلح من لسانه». وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «تعلموا العربية؛ فإنها تزيد في المرؤة». وقال شعبة: إذا كان المحدث لايعرف النحو فهو كالحمار تكون على رأسه مخلاة فيها شعير. وقال الشافعي -رحمه الله-: ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس . وقال بعضهم: زين الرجال النحو. وزين النساء الشحم.

وسبب وضع النحو أن أعرابيا قدم في زمن عمر فقال: من يقرئني مما أنزل الله على محمد؟ فأقرأه رجل ﴿براءة﴾ فقال: إن الله بريء من المشركين ورسوله -بالجر- فقال الأعرابي: وقد بريء الله من رسوله! إن يكن الله بريئا من رسوله

فلأبرأ منه. فبلغ عمر مقال الأعرابي فدعاه، فقال: يا أعرابي، أتبرأ من رسول الله -ﷺ- فقص عليه القصة. فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي. قال: فكيف هو يا أمير المؤمنين؟ فقال: ﴿أن الله بريئ من المشركين ورسوله﴾ -بالضم- فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه. فأمر عمر أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود الدؤلي فوضع النحو.

وقد اتفق العلماء على أن النحو محتاج إليه كل فن من فنون العلم.

أما التفسير فلا يجوز لأحد أن يتكلم في كتاب الله تعالى حتى يكون ملما بالنحو؛ فإنه عربي ولا تعرف مقاصده إلا بمعرفة قواعد العربية.

وأما الحديث فقال ابن الصلاح: ينبغي للمحدث أن لايروي حديثه بقراءة لحان. وقال الأصمعي: إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في قول النبي -ﷺ- : «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» لأنه لما يكن يلحن فهما رويت ولحنت فيه فقد كذبت عليه.

وقد ذكروا لعلم النحو تفاسير، ومن أحسنها قول ابن بابشات: هو علم مستنبط بالقياس والإستقراء من كتاب الله سبحانه، والكلام الفصيح.

والغرض من النحو معرفة صواب الكلام وخطئه وفهم معاني كتاب الله عز وجل وفوائده.

ولا ينبغي لأحد أن يدخل في علم من العلوم حتى يعرف الغرض الذي لأجله ألف؛ ليكون على بصيرة فيما دخل فيه. قال بعض الشيوخ: العلوم ثلاثة: علم نضج وما احترق وهو علم النحو والأصول، وعلم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج واحترق وهو علم الفقه والحديث.

وأوصيكم بالحرص على طلب العلم النافع قراءة، ومطالعة، ومذاكرة؛ لأن علم الدين أفضل ما يكتسبه العبد من المناقب السنية؛ ففي الحديث «قليل العلم مع العمل كثير، وكثير العلم مع الجهل قليل بحسب التوبة والقبول» وقال النبي -ﷺ- حين ذكر عنده رجلان أحدهما عابد جاهل والآخر عالم: «فضل العالم العامل على العابد غير العالم كفضلي على أدناكم».

وأوصيكم بحفظ القرآن والاكثار من تلاوته إن أمكنكم حفظه؛ لأنه من السنة الشريفة، ولتكن قراءتكم له مع التدبر والترتيل والتفهم لمعانيه.

ومن السنة أن يحفظه العبد بحيث يقرأه عن ظهر قلبه بدون النظر إلى المصحف أي يأخذه عن شيخ ماهر به، فإذا تمهر فيه إلى أن يبلغ الغاية القصوى يقرأه كيف شاء خلافا لمن قال: قراءة القرآن في النسخة أكثر ثوابا ممن يقرأه بدون النظر إليه، وفي الحديث: "الماهر في القرآن مع السفرة الكرام البررة" والمراد بالمهارة في الحديث جودة اللفظ وإخراج كل حرف من مخرجه، وجودة الحفظ وهو المناسب هاهنا وإن يراد به كلاهما.

إخواني إقرأوا القرآن واستظهروه؛ فإن الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن. قال بعض الشيوخ: طلبنا خمسا فوجدناها في خمس طلبنا القوة فوجدناها في صلاة الضحى. وطلبنا ضوء القبور فوجدناه في صلاة الليل. وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن. وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم والصدقة. وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة.

وأوصيكم أن تبادروا بصبيانكم إلى المكتب ليتعلموا القرآن وليختلط بلحومهم ودمائهم؛ لأن قراءة الصغير كالنقش في الحجر، وقراءة الكبير كالنقش في الرمل.

ولايجوز للمؤدب أن يعلم الصبيان في المسجد القرآن؛ فإن فعل يأثم، وكذلك التأديب فيه للصنائع لا يسوغ؛ ففي الحديث: "جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم".

إخواني اختاروا لأنفسكم وأولادكم الزوجات الطيبات ذوات الحسب والنسب، وإياكم وتزوج الشهبرة، والنهبرة، واللهبرة، والهيدرة، واللغوت.

أما الشهبرة فالزرقاء وأما اللهبرة فالطويلة الهزيلة وأما النهبرة فالعجوز المدبرة وأما الهيدرة فالقصيرة القبيحة. وأما اللغوت فذوات الولد من غيرك.

وإياكم وخضراء الدمن؛ فإنها تلد مثل أصلها. وخضراء الدمن هي امرأة أمها قبيحة الفعل والنسب. ويعبر عنها أنها مثل الشجرة نبتت من مزبلة وفي الحديث قال عثمان بن عفان: "أنكحوا النساء على أبائهن وإخوانهن؛ فإني لم أر في ولد

أبي بكر أشبه منه بهذه الإمامة..

وفي حديث أبي عمر بن العلاء قال: قال رجل: لا أتزوج امرأة حتى انظر ولدي منها. قيل له: كيف ذلك؟ قال: انظر إلى أبيها وأخيها فإنها تجيئ بأحدهما.

إخواني وإياكم واتباع علم الكيمياء[1]، والكنوز والجداول، والتبريج، والفال، وتقليب القلوب، وضب الإكوة، واللعب بالنرد والشطرنج كل ذلك من الباطل، وقد نهانا عن ذلك أهل الطريقة العروسية[2] غاية النهي.

ومن الباطل أيضا علم العزائم والأسحار، فربما يكون كفر -أعاذنا الله من ذلك- والعروسي لايفعل شيئا من المحرمات ولا المكروهات. ولا يقتدي بجاهل لا يعرف العلم ولا أهله، وأن لا يتعلم إلا من عالم، ناصح. نقي الجيب، قليل الغيب، عدل في الدين، كريم العرض، شريف النسب، كبير السن.

وإياكم والجلوس مع ثمانية أصناف من غير ضرورة. وهم: كذاب، وقتات، ومغتاب، وتارك الصلاة، ومدمن الخمر، وزان، ولواط، وعاق والديه متكبر وربما يجب هجرانهم، لأن الطبع يسري كما في الحديث:

قال ﷺ: «من جلس مع ثمانية أصناف زاده الله ثمانية أشياء:

فمن جلس مع الأمراء زاده الله الكبر وقساوة القلب.

ومن جلس مع الأغنياء زاده الله الحرص في الدنيا.

ومن جلس مع الفقراء زاده الله الشكر والرضا بما قسم له والعزلة أحسن.

ومن جلس مع الصبيان زاده الله لهوا ولعبا.

ومن جلس مع النساء زاده الله شهوة وجهلا.

ومن جلس مع الصالحين زاده الله رغبة في الطاعة.

ومن جلس مع العلماء زاده الله العلم الورع .

ومن جلس مع الفساق زاده الله الذنب والتسويف[3]

1) لايقصد به علم الكيمياء المعروف الآن.
2) نسبة إلى العلامة المربي أحمد بن عروس.
3) انظر القطب الأنور عبد السلام الأسمر للقطعاني 175 - 179.

سمات الشيخ:

كان متوسط القد إلى الطول أقرب، جميل الصورة، يميل إلى السمرة، أسود العينين والحواجب والهذوب، وجهه كأنه يقطر منه الدهن في عينيه رسم وبهاء، لاتمل من النظر إليه. فصيح اللسان. عذب الكلام، يلبس فوق مرقعته الثياب البيض. ويتعمم بعمامة بيضاء أو خضراء ثم يتنقب بها ويرخي عذبتها.

وكان يباسط إخوانه والمقربين إليه. وله معوال مربع الشكل ينقله في يده وأصله من شجرة الزيتون مكتوب في الوجه الأول منه بسم الله الكافي، وفي الثاني الغني الفتاح، وفي الثالث الرحمن الباقي، وفي الرابع الرحيم الرزاق.

وكان يتختم بخنصر يده اليسرى، ويلبس النعل الأصفر. وأحيانا يلبس الخف والجورب من النعل الأصفر[1].

وفاة الشيخ:

اختلف العلماء في وفاته فمنهم من أرخها بسنة 981هـ 1573م[2]، وعليه فهو قد عاش مائة عام وعاما فوقها.

وقال الشيخ عبدالرحمن المكي: عاش مائة وعشرين سنة. وقال آخرون: عاش مائة وعشر سنوات. وقال ابن الشيخ عبدالسلام -عمران-: إنه عاش مائة وإحدى عشرة سنة[3].

وقدرثاه العلماء بعدد من المرثيات، منها مرثية الشيخ عمران بن جحا التي قال فيها

من لكتاب الله والشرع بعده	ومن لأحاديث النبي ومسراه
ومن للفتاوي والعلوم بأسرها	ومن لتصاريف الكلام ومعناه
ومن لعلوم النحو والفقه ثم من	لتوحيد رب العالمين ومسراه[4]

1) مواهب الرحيم 122-123.
2) رحلة الحشائشي 108.
3) مواهب الرحيم 311.
4) المرجع السابق 312.

الفصل الثاني

الوجد وضرب البندير

الوجـــد:

1. في اللغة: يقال وجد عليه يجد. ويجُد وجدا، وجدة. وموجدة غضب، ووجد بـه وجدا في الحب، ووجدت به في الحزن.

ففي الحب وجد. وفي الغضب موجدة، وفي الظفر وجدان[1].

في الاصطلاح: صفة حاصلة للنفس من سرور، أو حزن، أو نشاط، أو كسل[2] وهي نتيجة لأفعال الإنسان وأعماله.

2. صور من الوجد في القرآن الكريم

صورت عدد من الآيات القرآنية حالة الوجد، وبينت آثاره السـلوكية الـتي قـد تترتب عليه، ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[3]

فهذه الآية تحدثت عن الإعجاب الذي سـيطر على النسوة، وعـن الغيبـة الـتي حصلت لهن عن أنفسهن عندما شاهدن جمال يوسف عليه السلام. وبينت سـيطرة هذا الحال والوجد بهن حتى إنهن قطعن أيديهن وهن لايشعرن.

قوله تعالى: ﴿فتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف﴾[4]

فهذه الآية تحدثت عن المحبة المفرطة التي ملأت قلب يعقوب عليه السلام. هـذه المحبة التي أنسته السؤال عن ابنه الثاني ساعة أن أخبر بفقده فلم يتأسف ولم يتحـزن عليه لسيطرة محبة يوسف عليه السلام على قلبه، وغيبته فيها[5].

قوله تعالى: ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا﴾[6].

فهذه الآية صورت الرعب الذي يحصل في النفس للرائي لو تمت مشاهدته لأهل الكهف، وبينت آثاره السلوكية القوية في حركة الهروب والفرار[7]

1) انظر مختار القاموس والمصباح المنير مادة وجد، ومدارج السالكين 70/3.
2) دراسات في التصوف الإسلامي 34.
3) يوسف 31.
4) يوسف 84.
5) انظر مدارج السالكين 210/3.
6) الكهف 31.
7) انظر المعيار للونشريسي 106/11.

3. حكم الوجد:

الوجد إذا كان بسبب مشروع كالذكر وتلاوة القرآن لا حرج فيه، ولا إثم على من يرد عليه إذا صدر منه ما يوجب العقوبة واللوم. قال الشيخ ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: ما يرد على القلوب مما يسمونه السكر، والفناء[1]، ونحو ذلك من الأمور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها فإنه إذا لم يكن السبب محضورا لم يكن السكران مذموما بل معذورا؛ فإن السكران بلا تمييز... وما صدر عنه في حال زوال عقله فهو فيه معذور؛ لأن القلم مرفوع عن كل من زال عقله بسبب غير محرم كالمغمى عنه، والمجنون، ونحوهما[2].

ولهذا لما سئل الإمام أحمد عن هذا فقال: قرئ القرآن على يحي بن سعيد القطان فغشى عليه، ولو قدر أحد أن يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحي بن سعيد؛ فما رأيت أعقل منه، ونحو هذا، وقد نقل عن الشافعي أنه أصابه ذلك، وعلي بن الفضيل بن عياض قصته مشهورة. وبالجملة فهذا كثير لا يستراب في صدقه[3].

قال ابن عطاء الله الاسكندري في حكمه: متى وردت الواردات الإلهية إليك هدمت العوائد عليك... الوارد يأتي من حضرة قهار، لأجل ذلك لا يصادفه شيء إلا دمغه.

وقال الشيخ زروق: الواردات الإلهية هي ما يتجلى للقلوب من المعارف التي تبرز عندها الحقائق، فإذا أوردت هذه الواردات على القلب لم يبق فيه متسع لغيرها فتأخذ بمجامعه، وتستوي في كلية العبد فينفث بها طوعا أو كرها لخلوه عما سواها... فإذا دخل الرب القلب خرب مما سواه، فلا يتأتى له جري مع المعتاد، ولا تصرف بالأسباب[4].

1) شهود حق بلا خلق فليس إلا هو وحده وذلك عين الغيبة عن كل شيء به/شرح زروق للحكم العطائية 273.
2) مجموع فتاوي ابن تيمية 11/ 10-11.
3) المرجع السابق 8/110.
4) شرح الحكم العطائية 343-344.

تحليل رأي الشيخ عبدالسلام في الوجد وفي علاجه

يمكن الوقوف على رأي الشيخ في حالة الوجد وفي كيفية علاجها حين تحدثه عن الوظيفة حيث يقول: ولا تزالون تذكرون حتى تظهر فيها الخمرة وهي السكر. والسكر هو الغيبة عما سوى الله تعالى[1]. وعلامة ذلك بينة لا تخفي على أحد إلا على أعمى البصيرة - والعياذ بالله - ثم بعد ظهور خمرتها اضربوا البناديروقولي كلامي، وتأملوا معناه. وقال قبل هذه الجملة:

ولا تضربوها إلا بعد أن تظهر الخمرة، ولا تضربوها إلا وأنتم طاهرون... وإياكم ثم إياكم أن تضربوا البنادير لأجل طلب الدنيا؛ فإن ذلك يضركم مع الله مضرة شديدة. ولا أرضي ذلك ولا من يفعله، ومن خالف فلا يلوم إلا نفسه[2].

التحليل

يرى الشيخ عبدالسلام أنه ينظر لصاحب الوجد بنظرين:

النظر الأول أنه في حالة استحواذ للنشوة، والفرح، والسرور عليه، وأن علاج هذه الحالة والتعامل معها يتم بتعبير حركي وقولي يتم من خلاله استفراغ الحالة الوجدانية.

النظر الثاني أنه غافل عما سوى الله تعالى من الموجودات الخارجية.

فهل تقر الشريعة الإسلامية بضرب الدف في حالة السرور؟ وما العلاقة بين هذا الضرب وبين الإنفعالات النفسية؟ وهل تسلم السنة بتنبيه الغافل عن السوي؟

الحالة الأولى: ضرب الدف في حالة السرور أصله حديث مسلم الذي روته عائشة والذي جاء فيه: دخل عليّ أبو بكر وعندي جاريتان من جوار الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث قالت: وليستا بمغنيتين فقال أبوبكر: أبمزمور الشيطان في بيت الرسول الله ﷺ ؟ وذلك في يوم عيد. فقال رسول الله ﷺ: ,,يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا,,.

1) وفي العادة تصاحب هذه الغيبة اللذة والنشوة وسقوط التمالك بالطرب / انظر مدارج السالكين 3/ 305 - 306.

2) مواهب الرحيم 280 - 281.

وفي رواية أخرى له: «وفيه جاريتان تلعبان بدف».

وفي رواية أخرى: «تغنيان، وتضربان»[1].

وهذا الحديث درسه الفقهاء فتوسعوا في لفظ عيد الوارد فيه فأدخلوا فيه مناسبات الأعراس، ومناسبات الختان بجامع الفرح في كل وأجازوا فيها بالتالي ضرب الدفوف[2].

وتوسع فيه فقهاء الصوفية فأدخلوا فيه السرور بنعم الله الواردة على القلوب كما قال تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾[3].

قال ابن عطاء الله: ورود الفاقات أعياد المريدين. وقال شيخ زروق - من فقهاء المالكية - : وخير أوقاتك وقت تشهد فيه فاقتك، وترد فيه إلى وجود زلتك؛ لأن ذلك يقطعك عن غيره، ويردك إليه. وهو رأس الفوائد، وأعياد العمر عند أهل الله تعالى؛ لأن العيد سمي عيداً لأنه يعود على الناس بالأفراح ويعودون فيه على أهاليهم بالإنفاق، ويتكرر عليهم وجوده، وتظهر على كل واحدة فيه حلية غناه، وكما له بالزينة وغيرها، وكذلك الفاقة هي زينة المريدين. وفائدته يفطر فيها على تمر المشاهدة من صوم المجاهدة.

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه ... فقلت خلعة ساق حبه جرعـــا

فقر وصبر هما ثوباي تحتهما ... قلب يرى الفاقة الأعياد والجمعا

أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به ... يوم التزاور في الثوب الذي خلعا

الدهر لي مأتم إن غبت يا أملي ... والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا[4]

والشاهد أن الحديث الشريف السابق الذي رواه مسلم يقرؤه رجل الفقه فيستنبط منه جواز ضرب الدف في حالة السرور، ويقرؤه رجل الفكر فيأخذ منه فلسفة تمييز يوم العيد على سائر الأيام، وتمييز هذه الأمة على باقي الأمم. ويقرؤه عالم النفس فيرى فيه أن ضرب الدف والتغني بما صار بين المسلمين بالأمس من

1) مسلم - النووي 6/ 182 - 184.
2) النووي على مسلم 6/ 183 - 184. وأيد هذا القياس بعض الأحاديث.
3) يونس 58.
4) شرح الحكم العطائية 288 - 289.

حروب بمثابة تطهير. إذ عن طريقه سيتم تفريغ الإنفعالات القوية عند الطفل بحيث يستطيع بعدهما أن يتوافق مع المطالب الإجتماعية بشكل أكثر يسر[1].

وعلم التربية والسلوك أو ما يسمى بالتصوف فرع من فروع علم النفس سبق أئمته وعلماؤه علم النفس الحديث في التنبه إلى أثر الحركة الفنية - ضرب الدف - في التخلص من استحواذ الإنفعالات الوجدانية. وكان الشيخ عبدالسلام الأسمر لايستريح عند هيجان الحال وإحراق الوجد إلا بسماع الدف[2].

وهنا يجب أن ننبه على شيئين:

1 - إن فعل الشيخ عبد السلام الأسمر في ضرب الدف - كما علمت - غير خارج على السنة، ولا داخل في البدعة بأي تحليل تحللها.

2 - انسجام هذا الفعل مع وصايا الشيخ حين يقول: ولا منجا أنجي لكم من سنة رسول الله ﷺ فعليكم باتباع السنة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام[3].

فقوله أنجي لكم سواء في حالة الحضور أم في حالة الغيبة. وضرب الدف للضعيف وسيلة من وسائل النجاة من استحواذ الوارد على القلب.

ومن الموافقات العجيبة في هذا المقام أن الحديث الشريف السابق فيه جاريتان - وهما من دون سن البلوغ، وهما رمز الضعف - تضربان بالدف في حالة السرور بحضور أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - مع إقرار المربي الأكبر رسول الله - ﷺ بذلك.

والشيخ عبد السلام الأسمر أباح ضرب الدف للمريدين الذين يصابون بحالات السكر والغيبة عن السوي، والغيبة رمز الضعف أيضا.

موازنة بين رأي الشيخ ابن تيمية والشيخ عبد السلام الأسمر:

من خلال النصوص السابقة للشيخين يمكن أن نستنتج الآتي:

1 - يعترف الشيخان بالوجد كحقيقة مسلمة قد تعرض للمسلم في حالة تأدية

1) انظر منهج رياض الأطفال لمعتوق المثاني 184, 205. وسيكلوجية اللعب 275.
2) مواهب الرحيم 168.
3) المرجع السابق 260

بعض العبادات.

2 - يتفق الشيخان أن الوارد إذا كان سببه شرعيا كالذكر وتلاوة القرآن وصدر من صاحبه شئ ينافي الشريعة فلا لوم عليه. أما إذا كان السبب غير شرعي فيحذر منه وفيه الحرج يقول الشيخ عبدالسلام: وخذوا حذركم من الحركة النفسانية في الحضرة[1] وهي أن يترك الفقير يهتز وقلبه محشو بالأكوان فافهموا؛ فإن النفس لها طرب شديد عند اعتدال الأصوات، فإذا مالت في الحضرة إلى استماع الأصوات فردوا قلوبكم للذي خلق الأصوات سبحانه وتعالى[2].

3 - ينفرد الشيخ عبدالسلام باعتباره تصدر للتربية بمعالجة هذه الحالة بما يراه يتفق والشريعة الإسلامية، والمعالجة - كما سبق - تتم بحركة فنية - ضرب الدف - يتم من خلالها استفراغ الحالة الوجدانية.

الحالة الثانية - حالة الغفلة[3]

تصوير الحالة:

يصاب بعض السالكين بحالة الفناء والغيبة عن شهود السوي وهم «لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر الله، وعبادته، ومحبته، وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد، وترى غير ما تقصد لا يخطر بقلوبهم غير الله بل ولا يشعرون، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها﴾ قالوا فارغا من كل شئ إلا من ذكر موسى.

وهذا كثير يعرض لمن فقمه أمر من الأمور: إما حب. وإما خوف، وإما رجاء، يبقي قلبه منصرفا عن كل شئ إلا قد أحبه أو خافه، أو طلبه بحيث يكون عند استغراقه في ذلك لا يشعر بغيره[4].

جاء في الرواية أن معاوية بن أبي سفيان كان يحادث يزيد بن شجرة، ويزيد مقبل على حديثه بكلتيه فصك جبينه حجر عائر فأدماه، فجعلت الدماء تسيل على

1) يقصد بها الاجتماع في الذكر.
2) المرجع السابق 279 - 280.
3) وهي النظر الثاني من تحليل رأي الشيخ عبدالسلام.
4) مجموع فتاوي ابن تيمية 10 / 219.

وجهه، ولحيته، وثوبه. وغير ذلك فلم يتغير عما كان عليه من الإستماع، فقال له معاوية: لله أنت يابن شجرة، أما ترى ما نزل بك؟ قال: وماذاك ياأمير المؤمنين؟ قال: هذا دم يسيل على ثوبك. قال: أعتق ما أملك إن لم يكن حديث أمير المؤمنين ألهاني حتى غمر فكري، وغطى على قلبي. فما شعرت بشيء حتى نبهني أمير المؤمنين[1].

فإذا قوي على صاحب الفناء هذا فإنه يغيب بموجوده عن وجوده، وبمشهود عن شهوده، وبمذكوره عن ذكره. وبمعروفه عن معرفته حتى يفني من لم يكن وهي المخلوقات المعبدة ممن سواه، ويبقى من لم يزل وهو الرب تعالى.

والمراد فناؤها في شهود العبد، وفناؤه عن أن يدركها أو يشهدها. وإذا قوي هذا ضعف المحب حتى اضطراب في تمييزه فقد يظن أنه هو محبوبه، كما يذكر أن رجلا ألقي بنفسه في اليم فألقي محبه نفسه خلفه، فقال: أنا وقعت. فما أوقعك خلفي؟ قال: غبت بك عني فظننت أنك أني[2].

وصاحب الوجد المشروع قد يصعق أو يصيح صياحا عظيما. أو يضطرب اضطرابا كثيرا فيتولد عن ذلك ترك صلاة واجبة أو تعد على بعض الناس، وهو معذور في ذلك؛ فإن هذا في هذه الحال بمنزلة عقلاء المجانين. المولهين الذين حصل لهم الجنون مع أنهم صالحون وأهل المعرفة إما لقوة الوارد الذي ورد عليهم، وإما لضعف قلوبهم عن حمله. وإما لإنحراف أمزجتهم وقوة خلط، وإما لعارض من الجن. فإن هؤلاء كما بلغنا عن الإمام أبي محمد المقدسي حيث سئل عنهم فقال: هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم، وأسقط ما فرض بما سلب[3].

وقال ابن القيم: قد يكون سببه قوة الفرح بإدراك المحبوب بحيث يختلط كلامه وتتغير أفعاله فيزول عقله. ويعربد أعظم من عربدة شارب الخمر. وربما قتله سكر هذا الفرح لسبب طبيعي وهو انبساط دم القلب وهلة وحدة انبساطا غير معتاد...

1) مروج الذهب 2/ 212.
2) مجموع فتاوي ابن تيمية 10/ 219.
3) المرجع السابق 10/ 349.

ومن هذا قول سكران الفرح يجد راحلته في المفازة بعد أن استشعر الموت: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة فرحه وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب[1].

تذكير الغافل

جاءت الشريعة الإسلامية بتذكير الغافل في العبادة كالإمام في الصلاة جعلت تذكيره يكون إما بالتسبيح وهذا بالنسبة إلى الرجال. أو بالتصفيق - وهو حركة من الحركات - بالنسبة إلى النساء في غير المشهور من مذهب الإمام مالك[2]. فقد روى سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم، فحانت الصلاة، فجاء المؤذن إلى أبي بكر فقال: أتصلي بالناس فأقيم؟ قال: نعم. قال: فصلى أبو بكر. فجاء رسول الله ﷺ والناس في الصلاة، فتخلص حتى وقف في الصف، فصفق الناس. وكان أبوبكر لا يلتفت في الصلاة، فلما أكثر الناس التصفيق التفت فرأى رسول الله ﷺ فأشار إليه رسول الله ﷺ أن امكث مكانك، فرفع أبو بكر يديه فحمد الله على ما أمره به رسول الله ﷺ من ذلك ثم استأخر أبوبكر حتى استوى في الصف، وتقدم النبي ﷺ فصلى ثم انصرف، فقال: «يا أبا بكر ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟» فقال أبو بكر: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «من نابه شيء في صلاته فليسبح؛ فإنه إذا سبح التفت إليه، وإنما التصفيق للنساء»[3].

ويؤخذ من هذا الحديث:

1 - أن الإمام إذا غفل وسها لا يترك في غفلته بل لابد للآخرين من التدخل، وكذلك الشأن في كل عبادة غفل فيها صاحبها ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾[4].

وهذا مافهمه الشيخ الأسمر عبدالسلام حينما أمر بمخاصمة صاحب الوجد الغافل

(1) مدارج السالكين 3/ 307.

(2) الشرح الكبير 1/ 282 ونيل الأوطار 2/ 364 - 365.

(3) متفق عليه/ منتقى الأخبار مع نيل الأوطار 3/ 167 - 168.

(4) الذاريات 55.

عن السوى وعن الموجودات الأخرى. واختار الشيخ لأتباعه أن يتلوا قصائده للمصاب بحالات الوجد. والسبب في هذا الطلب ودوافعه، وآثاره تصوره عبارات الإمام ابن القيم الآتية أجمل تصوير.

يقول: والذي يريده الشيخ وأمثاله بهذا أن المحب الصادق يمتلئ قلبه بالمحبة فتكون هي الغالبة عليه. فتحمله غلبتها وتمكنها على أن لايغفل عن محبوبه، ولايشتغل قلبه بغيره ألبتة، فيسمع من الفارغين[1] ما ورد في حق المحبين، ويسمع منه أوصاف حبيبه والخبر عنه فلا يكاد يصبر على أن يسمع ذلك أبدا لضيق قلبه عن سماعه من قلب غافل، وإلا فلو سمع هذا الخبر ممن هو شريكه في شجوه، وأنيسه في طريقه، وصاحبه في سفره لما ضاق عنه بل لاتسع -أي القلب- له غاية الإتساع[2]. وفي الإتساع قوة، وهو المطلوب في إزالة حالة الضعف عن صاحب الوجد

وجاء حديث لا يمل سماعه شهي إلينا نثره ونظامه

إذا ذكرته النفس زال عناؤها وزال عن القلب المعنى قتامها

2- ومن لطائف التذكير بالتصفيق لمن فهم من الحديث مشروعيته أن الحركة الإضطرارية في العبادة لا لوم فيها، ولا حرج عليها، وأما الحركة الإختيارية فينهى عنها. يقول الشيخ عبدالسلام الأسمر في وصاياه عن الوظيفة -الإجتماع للذكر-: ولا تصفقوا فيها اختيارا، ولا تضربوا بأرجلكم الأرض اختيارا[3].

الفرح بالوجد عند الشيخ عبدالسلام

ينهى الشيخ عبدالسلام صاحب الوجد أن يفرح بوجده وبالوارد الذي يرد إليه، يقول في وصاياه:

والرؤيا الصالحة كرامة من الله تعالى مثل رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والأولياء، وشبه ذلك، ولا تفرحوا بها، ولا بمكاشفة، ولا بمحاضرة، ولا بمشاهدة،

1) لعله يقصد الفارغين من الوجد.
2) مدارج السالكين 311/3.
3) مواهب الرحيم 278-279.

ولا بوجد، ولا بتواجد، ولا بخمرة، ولا بسكر، ولا بصيران في الهواء، ولا بخرق العادة. ولكن يكون فرحكم بالذي خلقكم من العدم، وخلق لكم ذلك الحال الواقع بكم، ومن فرح بشيء سوى الله من هذه الدرجات وشبهها فإنه جاهل بالله تعالى؛ لأنه فرح بغير الله تعالى، ومن أحب شيئا وفرح به فهو عبد له[1].

والسبب في هذا النهي كما يقول ابن القيم-:

1. إن السرور، والفرح يبسط النفس، وينميها، وينسيها عيوبها وآفاتها، ونقائصها؛ إذ لو استحضرت النفس هذا النقص منها لشغلها عن الفرح.

2. إن الفرح بالنعمة ينسي صاحبها تذكر المنعم فينشغل بها عنه حتى يغيب بها عنها، وهنا يكون المكر إليه أقرب من اليد للفم.

و لله كم هاهنا من مسترد منه ما وهب له عزة وحكمة. وربما كان ذلك رحمة به؛ إذ لو استمر على تلك الولاية خيف عليه من الطغيان كما قال الله تعالى: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾[2] فإذا كان هذا غني بالحطام الفاني فكيف بالغني بما هو أعلى من ذلك وأكثر.

فصاحب هذا إن لم يصحبه حذر المكر خيف عليه أن يسلبه، وينحط عنه.

والمكر الذي يخاف عليه منه أن يغيب الله سبحانه عنه شهود أوليته في ذلك ومنته وفضله، وأنه محض منته منه، وأنه به وحده، ومنه وحده فيغيب عن شهود حقيقة قوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾[3]...

ومما يدل على أن الفرح من أسباب المكر ما لم يقارنه خوف قوله تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾[4] وقال في قارون: ﴿لاتفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾[5].

فالفرح متى كان بالله وبما من الله مقارنا للخوف والحذر لم يضر صاحبه،

1) المرجع السابق 274.
2) العلق 6-7.
3) النحل 53.
4) الأنعام 45.
5) القصص 76.

ومتى خلا عن ذلك ضره ولا بد[1].

فالفرح الذي ينهي عنه الشيخ عبدالسلام إنما هو الفرح المطلق والفرح الذي تجوزه الآية القرآنية ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ هو الفرح المقيد بخوف المكر؛ إذ القرآن يفسر بعضه بعضا.

وغرض الشيخ عبدالسلام أن يكون تلاميذه مع الله كالعبيد إذا حضروا بين يدي سيدهم فإنهم ينسون ما هم فيه من الجاه والقرب الذي اختصوا به عن غيرهم باستغراقهم في أدب العبودية وحقها وملاحظتهم لسيدهم خوفا أن يشير إليهم بأمر فيجدهم غافلين عن ملاحظته.

موازنة بين رأيي الشيخ ابن القيم والشيخ عبدالسلام:

من خلال النصوص المتقدمة للشيخين يمكن أن نستنتج الآتي:

1. يتفق الشيخان على أن الإنسان المسلم قد ترد إليه موارد الفرح والسرور والإنبساط كنتيجة من نتائج الإلتزام والتمسك بالتقوى.

2. يتفق الشيخان أن الفرح المطلق يجعل صاحبه عبدا له قد ينسيه عيوبه ومساويه، وقد ينسيه ربه عز وجل.

3. يدعو الشيخ عبدالسلام أتباعه إلى أعلى درجات الفرح وهو الفرح بالله عز وجل، وهذا الفرح -كما يقول ابن القيم- من أعظم مقامات الإيمان، فيفرح به، إذ هو عبده ومحبه، ويفرح به سبحانه ربا، وإلها، ومنعما، ومربيا أشد من فرح العبد بسيده المخلوق المشفق عليه، القادر على ما يريده العبد ويطلبه منه، المتنوع في الإحسان إليه والذب عنه[2]

الفرق بين الحال الإيماني والحال الشيطاني:

فرق العلماء بين الحالين بالسبب الذي يؤدي إليهما؛ فالحال الإيماني ثمرة من ثمار المتابعة لله ورسوله ﷺ والإلتزام بالشريعة الإسلامية.

1) مدارج السالكين 3/107 - 109.
2) المرجع السابق3/106.

والخيال الشيطاني سببه إما الشرك والكفر بالله، أو الفجور والإنحراف عن طاعة الله. فهو ناشئ عن القرب من الشياطين والإتصال بهم، ومشابهتهم[1] ﴿ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله مافعلوه﴾[2].

يقول الشيخ عبدالسلام الأسمر: وإياكم والإستدراج واتباع نزغات الشيطان اللعين في اليقظة والنوم؛ فإنه يغري المؤمن بالأحلام الكاذبة، والصادقة، والتأثيرات، وهي التي يقول عنها العامة العربون، ويعمل مكاشفات، وقضاء حاجات، وارتعاش في الأذكار، وحضرات، وعربونا في الناس، وطيرانا في الهواء، ومشيا على الماء، وصحبة الناس، وغير ذلك. فهذه كلها من علامات الإستدراج إذا وقعت من المغرور، وهو الذي يكون منكبا على الدنيا انكباب الكلب على الجيفة، تابعا لهوى نفسه، مجاهرا بالبدع المحرمة، طائعا للناس، لم يعبأ بفرض، ولا سنة، ولا أدب. فمن كان هكذا وظهرت منه العلامات المذكورة فإنه مستدرج لا محالة، وتلك العلامات لا تكون ربانية إلا إذا خرجت من رجل تابع للكتاب والسنة، زاهد في الدنيا، مستغرق أوقاته بالذكر والعبادة بالشوق، والوجد، والمحبة قد مزقت قلبه وقلبه غائب عن الخلق. متعلق بالحق سبحانه وتعالى فمن كان هكذا وصدرت من تلك العلامات فإنها ربانية[3].

تنبيه:

يحتج بعض المعارضين للحركة الإضطرارية في حالة الوجد بفتوى للإمام مالك رواها عياض التنيسي قال: كنا عند مالك وأصحابه حوله فقال رجل من أهل نصيبين: يا أبا عبدالله عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيرا، ثم يأخذون في القصائد، ثم يقومون فيرقصون؟ فقال مالك: أصبيان هم؟ قال: لا قال: أمجانين هم؟ قال: قوم مشايخ، وغير ذلك عقلاء. فقال مالك: ماسمعت أحدا من أهل الإسلام يفعل هذا[4].

1) الروح 359.
2) الأنعام 138.
3) مواهب الرحيم 272 - 273.
4) معيار الونشريسي 11 / 41.

وهذه الفتوى - إن صحت - لاتنطبق على حال الوجد الذي يحكي عنه الشيخ عبد السلام. وفيها مجال للإختلاف في الرأي. ونوع من الإبهام في الإستدلال: أما أنها لا تنطبق على حال الإجتماع الذي يدعو إليه الشيخ عبدالسلام والذي قد يحدث فيه الوجد لسببين:

1 - إن الشيخ شرط هذا الإجتماع فراغ البطن من الطعام إلا بقدر ما يسد الجوع بحيث يستطيع الإنسان القيام والقعود. وعلله بأن المأكول يصير نجسا في الجوف والنجس ظلمة والذكر نور. والظلمة والنور لا يجتمعان في مكان واحد. والجوع يقهر النفس والشيطان. وفيه صحة للدين وخصوصا إذا كان الإنسان صائما وفيه صحة للجسد[1].

2 - إن الشيخ في حكم الرقص لايخالف الإمام مالك. يقول الشيخ في وصاياه: وإياكم أن تفعلوا العرس بشئ من المحرمات مثل الغناء والزغاريت، والصراخ، والتصفيق، والرقص، والمزامير كالعود، والرباب، والشبابة، والفحل، والزكرة، والطبل فهذه كلها حرام في العرس. وغيره[2].

أما أن فيها نوعا من الإبهام في الإستدلال فالمحتج لم يبين لنا نوع القصيد الذي كان شائعا في ذلك الزمن هل هو قصيد ديني مملوء بالثناء على الله والصلاة على رسوله - ﷺ - وفيه التزهيد في الدنيا ومساوي الأخلاق. والترغيب في الآخرة، والذي قد سمعه رسول الله ﷺ والصحابة وسلمه الأئمة والذي قد يحدث معه الوجد المشروع. وسيأتي الكلام عليه حين التحدث عن الختم البغدادي. أم هي قصائد الحب والهيام. والغرام، وتصوير الأشواق.

والظاهر من فتوى الإمام مالك أن هؤلاء القوم في حالة وعي، وخلو من الوجد المحض كما توحي به عبارة "ثم يقومون فيرقصون" على أن الرقص عند بعض الأئمة لا شئ فيه قال الإمام البلقيني: ما يصدر عنهم من الرقص الذي هو عند جمع ليس بمحرم ولا مكروه؛ لأنه مجرد حركات عن استقامة واعوجاج، ولأنه عليه الصلاة والسلام أقر الحبشة عليه في مسجده يوم العيد[3]

1) انظر مواهب الرحيم 280.
2) المرجع السابق 267 - 268.
3) المرجع السابق 67.

الفصل الثالث

رأيه في الاموات

عقيدته في الأموات:

1. الموت هو انتقال من حال إلى حال، ومن هيئة إلى أخرى.

لاعلاقة له بالعدم إلا من حيث هذا الجسم الترابي الذي يفنى ويتلاشى في بعض الأموات. ولا يتعرض جميع الأموات لمثل هذا؛ فإن الشهداء بعد قتلهم ﴿أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾[1] ورغم هذا فإنه قد غيبت عنا حياتهم بحيث لا نراهم ولا ندركهم وإن كانوا موجودين كالملائكة فإنهم أحياء موجودون يتحركون، ويتصرفون، ويفعلون ما يؤمرون مع أننا لا نراهم، وحال الروح أشبه بحال الملائكة.

2. وقد جاءت الأدلة من القرآن، والسنة، والآثار على أن الروح ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل، وتتصل وتنفصل. وقد وصفها الله بالدخول، والخروج، والقبض، والتوفي، والرجوع، وصعودها إلى السماء، وفتح أبوابها لها، وغلقها عنها.

قال الله تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم﴾[2].

وقال: ﴿يأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾[3].

وهذا يقال لها عند المفارقة للجسد.

وقال: ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾[4]

فأخبر أنه سوى النفس كما أخبر أنه سوى البدن في قوله: ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك﴾[5].

فهو سبحانه سوى نفس الإنسان كما سوى بدنه.

1) آل عمران 169.
2) الأنعام 93.
3) الفجر 30-32.
4) الشمس 8.
5) الانفطار 7.

وقال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾[1].

فوصفها بالتوفي. والإمساك. والإرسال.

وقد أخبر النبي ﷺ أن بصر الميت يتبع نفسه إذا قبضت. وأنها تصعد إلى السماء فيصلي عليها كل ملك لله بين السماء والأرض. وأنها تفتح لها أبواب السماء، فتصعد من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى بين يدي الله.

وأن نسمة المؤمن -وهي روحه- طائر يعلق في شجرة الجنة[2].

3. ويعتقد الشيخ عبدالسلام الأسمر فوق ما تقدم أن الأموات قد يقومون بالتعليم، والإرشاد، والتربية، وأنهم قد يخرجون من قبورهم ويفعلون، ويتحركون، وينتقلون[3]. فهل تقر الشريعة الإسلامية هذه العقيدة، وتسلم بصحتها، وترى أنها حق وصواب؟.

أ- قيام الميت بالتعليم:

من الأدلة التي يستدل بها على قيام الميت بالتعليم للحي قصة الإسراء والمعراج التي التقى فيها الرسول -ﷺ- بالأنبياء في بيت المقدس. وفي السماوات العلى، وفيها حين التقى بموسى عليه السلام في السماء السادسة بعدما فرض الله عليه خمسين صلاة قال: «فنزلت إلى موسى -ﷺ- فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا يطيقون ذلك؛ فإني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم»[4].

ففي هذا الحديث أخبر موسى -عليه السلام- رسول الله -ﷺ- بطبائع البشر السابقين، وبمعاناته معهم في طريق الهداية، والتقويم، ونصحه بمراجعة ربه، وسؤاله التخفيف، وهذا باب من أبواب التعليم قام به ميت لحي.

1) الزمر 39.
2) انظر الروح 54-56.
3) انظر مواهب الرحيم 207-255.
4) مسلم -النووي- 214/2.

ومثله ما جاء فيها عن إبراهيم -عليه السلام- حين قال للنبي -ﷺ-: «يا بني إنك لاق ربك الليلة، وإن أمتك آخر الأمم وأضعفها. فإن استطعت أن تكون حاجتك أو جلها في أمتك فافعل»[1].

ودعوى أن هذا التعليم من خواص الأنبياء دعوى لا دليل عليها، ولا تثبت الخاصيات إلا بدليل كما نص على ذلك الأئمة.

وإذا كان هذا التعليم من ميت إلى حي فالتعليم من ميت إلى ميت من باب أولى. قال الإمام ابن القيم في تزاور الأرواح وتلاقيها: الأرواح قسمان: منعمة ومعذبة، فأما المعذبة فهي في شغل عن التزاور والتلاقي. وأما المنعمة المرسلة غير المحبوسة فتتلاقى، وتتزاور، وتتذاكر ما كان منها من الدنيا، وما يكون من أهل الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو مثل عملها ...وفي قصة الإسراء من حديث عبدالله بن مسعود قال: لما أسرى بالنبي -ﷺ- لقي إبراهيم، وموسى، وعيسى -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- فتذاكروا الساعة، فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم، ثم بموسى فلم يكن عنده منها علم، حتى أجمعوا الحديث إلى عيسى، فقال عيسى: «عهد الله إلي فيما دون وجبتها» فذكر خروج الدجال، قال: «فأهبط فأقتله، ويرجع الناس إلى بلادهم، فتستقبلهم ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرون بماء إلا شربوه ولا يمرون بشيء إلا أفسدوه فيجأرون إلي، فأدعوا الله فيميتهم، فتجأر الأرض إلى الله من ريحهم، ويجأرون إلى فأدعوا، ويرسل الله السماء بالماء فيحمل أجسامهم فيقذفها في البحر، ثم ينسف الجبال ويمد الأرض مد الأديم، فعهد الله إلي إذا كان كذلك، فإن الساعة من الناس كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلا أو نهارا»، ذكره الحاكم والبيهقي.

قال: وهذا نص في تذاكر الأرواح[2]، ويؤخذ منه أيضا أن الحي قد يقوم بالتعليم للميت فعيسى -عليه السلام- حي أعلم النبيين الكريمين -موسى وإبراهيم عليهما السلام- بعلامة الساعة وهما ميتان.

1) فتح الباري 217/8.
2) الروح 26-27.

ومن الأشياء التي أخبر بها الشيخ عبدالسلام الأسمر عن نفسه والتي لا يعارضها الكلام السابق قوله في بعض قصائده في التحدث على أنه ينفع تلامذته ومن يسيرون على طريقته:

في النزع انجيهم	نلقنهم بجواب
في القبر نراهم	ننورهم ياخباب
دايم نونسهم	أنا الفارس المهاب[1]

وتصديق الشيخ عبدالسلام فيما يرويه عن نفسه يعتمد على ثلاث مقدمات.

ا. صحة نسبة هذا القول إلى الشيخ بحيث لا توجد إضافات وزيادة من النساخ على مر القرون الماضيات.

التسليم بأن الرجل الصالح قد يرزقه الله من المعارف، والعلوم الموهوبة، والقدرات الخارقة ما يميزه به عن كثير من خلقه كما قال تعالى عن الخضر﴿أتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾[2] وكما قال في سورة النمل في قصة سليمان -عليه السلام- حينما طلب إحضار عرش بلقيس من مسيرة شهر: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي﴾[3].

الاعتقاد بأن الشيخ من عباد الله الصالحين.

والحكم على الشخص بأنه من عباد الله الصالحين كما جاء في الشريعة – يعتمد على أساسين هما:

أ) العلم اللدني، والإلهام الرباني بأن فلانا من عباد الله كما جاء في سورة الكهف في قصة الخضر -عليه السلام- حينما تكلم الخضر على أبوي الصبيين فقال: ﴿وكان أبوهما صالحا﴾[4] فحكم بصلاح الأبوين، وقد اقره الله على هذا

1) مواهب الرحيم 226.
2) الكهف 64.
3) النمل 41.
4) الكهف 81.

الحكم ولم يعقب عليه.

ولا يقال إن الخضر كان يعرف الأبوين فحكم عليهما من خلال معرفته الظاهرة بهما لـ:

1- أن هذه المعرفة بالمشاهدة إن لم تعتمد على العلم اللدني فلا يجوز للإنسان أن يحكم بأن هذا صالح أو غير صالح، أو مكرم أو غير مكرم كما جاء في قصة عثمان بن مضعون حينما مرض وتوفي فقالت أم العلاء: شهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال رسول الله -ﷺ-: «وما يدريك أن الله أكرمه»[1].

ولا يقال أيضا كيف يعرف الرجل الصالح من المتأخرين ما لا يعرفه بعض الأفاضل من الصحابة والتابعين؟ لأن المزية لا تقتضي الأفضلية. كما جاء في قصة الإسراء التي تقدمت آنفا والتي أعلم فيها عيسى -عليه السلام- إبراهيم وموسى -عليهما السلام- بعلامة الساعة رغم أنهما أفضلا منه.

2- أنه لو كان الأمر كما قال لم يكن للمقدمة التي جاءت في بداية قصة الخضر في سورة الكهف فائدة وهي: ﴿فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾[2].

وقد تواترت أخبار الصالحين وحكمهم على الشيخ بأنه من عباد الله.

ب) ثناء الناس على الميت بعد موته كما جاء عن أنس -رضي الله عنه- قال: مر بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال النبي -ﷺ-: «وجبت» ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال: «وجبت» فقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة. وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار. أنتم شهداء الله في الأرض»[3].

وقد تواترت الشهادات من الناس على الشيخ بأنه من عباد الله.

1) الطبقات الكبرى لابن سعد 398.
2) الكهف 64.
3) البخاري -الفتح- 3/471-472.

قيام الميت بالتربية:

وردت الأحاديث المتعددة بقيام إبراهيم -عليه السلام- بكفالته أولاد المؤمنين، ورعايته لشؤونهم، واهتمامه بهم؛ فقد أخرج أحمد، والحاكم وصححه، والبيهقي، وأبوداود في البعث، وابن أبي الدنيا في العزاء من طريق أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: أولاد المؤمنين في جبل من الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة[1].

حركة الميت وانتقاله وخروجه من قبره:

للميت في الحياة الثانية شأن غير هذا الشأن الذي كان يعيشه في هذه الدنيا، وله حال غير هذه الحال، وقانون غير هذا القانون؛ فهو مع كونه في القبر قد تراه خارجه، ومع كونه في الأرض قد يوجد في السماء. ولقد رأى رسول الله -ﷺ- ليلة أسري به موسى -عليه السلام- ذاهبا إلى حرم وهو يلبي[2] ورآه في السماء السادسة[3]، ورآه وهو يصلي في قبره[4].

ورأى يونس -عليه السلام- على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف خطام[5] ناقته خلبة[6].

فهذين النبيين، وغيرهما من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قد دفنوا، وغيبت أجسامهم في التراب لكنه ﷺ رآهم خارج قبورهم في مناطق متعددة من هذا العالم، ورأى يونس ـ عليه السلام ـ يركب ناقة حمراء عليه جبة صوف.

فالقبر بالنسبة إلى العالم الآخر لايحول بين الميت وبين الخروج كما لايحول دخول الملائكة إليه مع مزربتهم الضخمة حين قيامهم بمحاسبة الميت في القبر، وخروجهم منه.

1) شرح الصدور للسيوطي لوحة 91.
2) مسلم -النووي- 230/2.
3) نفس المرجع السابق والجزء 224.
4) النووي على مسلم 238/2.
5) الحبل الذي يقاد به البعير
6) مسلم -النووي- 229/2.

ولا يحكم على قوانين ذلك العالم بقوانين هذه الحياة أخرج البيهقي في الدلائل عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: جهز عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ جيشا واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمي. وكنت في غزاته، فلما رجعنا مات في الطريق. فدفناه. فأتى رجل بعد فراغنا من دفنه. فقال: من هذا؟ قلنا: هذا خير البشر هذا ابن الحضرمي فقال: إن هذه الأرض تلفظ الموتى فلو نقلتموه إلى ميل أو ميلين إلى أرض تقبل الموتى. فنبشناه، فلما وصلنا إلى اللحد إذا صاحبنا ليس فيه، وإذا اللحد مد البصر نور يتلألأ. فأعدنا التراب إلى القبر ثم ارتحلنا.

ووردت مثل هذه الرواية عن أبي هريرة أخرجها أبو نعيم في الدلائل، ولفظه: فمات ـ أي أبو هريرة ـ فدفناه في الرمل، ثم قلنا يجئ سبع فيأكله فحفرنا فلم نجده.

وأخرج أبو نعيم عن مسلم الجندي قال: قال طاوس لابنه: إذا قبرتني فانظر في قبري، فإن لم تجدني فاحمد الله، وإن وجدتني فإنا لله وإنا إليه راجعون. فأخبر ولده أنه نظر فلم يجد شيئا. ورؤي في وجهه السرور[1]

. ومشاهدة الأموات لاتتم لكل أحد بل لايصادفها إلا الملتزمون بشرع الله أحيانا.

ومن دقائق التعبير القرآني حينما تكلم على قصة الإسراء اختياره للفظ العبد، وتفضيله لها على أي كلمة أخرى، قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾[2] ففي التعبير بها في هذا المقام دلالتان:

أولهما: أن الإنسان الذي يستحق الكرامة، والإراءة إنما هو الإنسان الملتزم بشريعة الله عز وجل ظاهرا وباطنا، المنقاد لأوامره ونواهيه الذي تحققت فيه العبودية الكاملة.

ثانيهما: الإجابة عن تساؤل كثير من الناس الذين يستفسرون عن سبب اختفاء

1) انظر شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور للسيوطي لوحة 78.
2) الإسراء 1.

الكرامات وعدم مشاهديها؛ فإن الله لايرى عجائب خلقه وملكوته ـ بما فيه مشاهدة الأموات ـ إلا لمن تمكنت فيه أوصاف العبودية والمحبة لله عز وجل.

ـ وحياة الشيخ عبدالسلام كانت حياة التزام وعبودية كاملة لله عز وجل؛ فقد كان لايفتر عن قراءة القرآن. والذكر. والتدريس، يختم كل يوم القرآن، ويتنفل بعد صلاة العشاء بمائة ركعة، ويقرأ ورده، وأذكاراً أخرى كثيرة، هذا إلى جانب عمله في التدريس، والدعوة، والإصلاح، وكان يبدأ في التدريس ـ كما سبق ـ من الضحى وتستمر محاضراته إلى صلاة العشاء في مختلف صنوف العلم والمعرفة[1].

وساعد الشيخ على هذا التفرغ، وعلى القيام بواجبات الحياة الأخرى أبناؤه فقد رزق أبناء كثيرين بلغ عدتهم خمسة عشر ولداً، ويخص بالذكر منهم ابنه الشيخ عمران الذي كانت تقع عليه أغلب أعباء الأسرة والضيوف. والذي قال له الشيخ يوما: إن السمن. واللحم. والقمح علي. أنفق ولا تشفق، فكان يذبح لضيوفه كل يوم أربعة شياه. وينفق عشرة مكاييل من القمح[2].

والولد من سعي أبيه

وآلاف[3] الضيوف الذي يفدون على الشيخ من كل حدب وصوب، وفج عميق كانت فرصتهم للقاء به إما في صلوات الجماعات، أو في قاعة التدريس والمحاضرات، وهم بين عالم يعشق المعرفة ويسعى إليها، أو عابد يرغب في النصح، والتوجيه، والإستفادة، والإرشاد.

وهم على كل حال سيرون في حياة الشيخ مثابرة لا تعرف الكلل والإعياء، ورغبة صادقة في الإصلاح، والدعوة، فيرجعون إلى بلدانهم وفي مخيلة علمائهم صورة نموذجية فريدة للتفاني في خدمة العلم، وفي ذاكرة عبادهم أن القرب من الله ليس بالأماني، لكن ماوقر في القلب وصدقه العمل.

1) مواهب الرحيم 308.
2) المرجع السابق 314.
3) انظر القطب الأنور عبدالسلام الأسمر 180 ـ 183.

قيام الميت ببعض الأعمال

مما دلت عليه الأحاديث والآثار أن الميت قد ينجز بعض الأعمال:

- فقد أخرج ابن أبي الدنيا قال: حدثنا القاسم بن هشام قال: حدثنا يحي بن صالح الوحاظي حدثنا محمد بن سليمان ابن أبي ضمرة القاص، حدثني راشد بن سعد أن رجلا توفيت امرأته فرأى نساء في المنام ولم يرا امرأته معهن فسألهن عنها، فقلن: إنكم قصرتم في كفنها فهي تستحي أن تخرج معنا فأتى الرجل النبي ـ ﷺ ـ فأخبره، قال النبي ـ ﷺ : انظر هل إلى ثقة من سبيل؟ فأتى رجلا من الأنصار قد حضرته الوفاة فأخبره، فقال: إن كان أحد يبلغ الموتى بلغت، فتوفى الأنصاري، فجاءبثوبين مثرودين بالزعفران، فجعلهما في كفن الأنصاري، فلما كان الليل رأى النسوة ومعهن امرأته. وعليها الثوبان الأصفران.

قال الإمام السيوطي: هذا مرسل[1] لا بأس بإسناده؛ فإن ابن أبي ضمرة مقبول، وراشد بن سعد ثقة كثير الإرسال[2].

وقد اختلف العلماء في الحديث المرسل، ومذهب الإمام مالك، وأبي حنيفة الإحتجاج به، وهو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل. وذكر محمد بن جرير الطبري أن التابعين أجمعوا بأسرهم على قبولهم المراسيل ولم يأت عنهم إنكاره، ولا عن أحد من الأئمة بعدهم إلى رأس المائتين. قال ابن عبد البر: كأن ابن جرير يعني أن الشافعي أول من أبي قبول المراسيل[3].

وأخرج أبوبكر البرقي[4] في معرفة الصحابة عن ابن عمر التسلي عن أبيه قال: لما ثقل أمر أهله أن لايلبسوه قميصا، قالت: فألبسناه قميصا فأصبحنا والقميص على المشجب[5].

- وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب أنه كان يلازم المسجد أيام الحرة

1) المرسل مايرويه التابعي عن النبي ﷺ مقدمة بن لصلاح 133
2) شرح الصدور لوحة 77.
3) انظر مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاح مع الهامش 141
4) أو البرني.
5) شرح الصدور 78.

والناس يقتتلون، قال: فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذاناً يخرج من قبل القبر. يعني القبر النبوي.

وقال الزبير بن بكار في أخبار المدينة حدثني محمد بن عبد العزيز بن محمد وغيره عن بكر بن محمدأنه لما كان أيام الحرة ترك الأذان في مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ ثلاثة أيام، وخرج الناس إلى الحرة. ثم جلس سعيد بن المسيب في المسجد. قال: فاستوحشت، ودنوت من قبر رسول الله ـ ﷺ ـ فلما حضرت الظهر سمعت الآذان في قبر رسول الله ـ ﷺ ـ ثم سمعت الإقامة، ثم لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول الله ـ ﷺ حتى مضت الثلاث. وأقبل القوم، ودخلوا المسجد، وعاد المؤذنون فأذنوا فتسمعت الأذان فلم أسمعه.

وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة[1].

ـ وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجة الأنصاري ثم من بني الحارث بن الخزرج توفي زمن عثمان فسجي. ثم إنهم سمعوا جلجة في صدره ثم تكلم، فقال: أحمد في الكتاب الأول. صدق صدق أبوبكر الصديق الضعيف من نفسه، القوي في أمر الله. في الكتاب الأول صدق صدق عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول صدق صدق عثمان بن عفان. مضت أربع وتقبلت ثنتان، أتت الفتن....

ـ قال سعيد: ثم هلك رجل من خطه فسجي بثوبه فسمع جلجة في صدره، ثم تكلم فقال: إن أخابني الحارث من الخزرج صدق صدق.

قال البيهقي: هذا إسناد صحيح وله شواهد[2].

1) المرجع السابق لوحة 83.
2) المرجع السابق لوحة 86.

الفصـل الرابـع

فـداء الميت

فداء الميت

1 - أجمعت الأمة على أن الميت ينتفع بما تسبب فيه من الأعمال الصالحة كالصدقة الجارية، والعلم الذي نشره وبثه، والولد الصالح الذي يدعو له. وبدعاء المسلمين واستغفارهم له.

واختلفت في العبادات البدنية كالصوم، والصلاة، وقراءة القرآن، والذكر: فمذهب الإمام أحمد وجمهور السلف وصولها، قال الإمام أحمد: اقرأ آية الكرسي ثلاث مرات، و﴿قل هو الله أحد﴾، وقل: اللهم إن فضله لأهل المقابر.

وقد عقد الإمام ابن القيم فصولا متعددة ممتعة في وصول الثواب إلى الميت، واستدل له بالأحاديث والآثار الصحيحة، وأجاب فيه عن الإعتراضات المختلفة للعلماء في هذه المسألة فأحسن وأجاد. وكتابته في هذا الموضوع تعد من الكتابات القيمة، الممتازة[1].

2 - وفي ضمن هذا الإطار، ومن خلال هذا المبدأ أشار الشيخ عبدالسلام الأسمر في إحدى نصائحه التي بعث بها إلى أهل الزاوية الغربية إلى نوع من الإهداء للميت وهو إهداء مايسمى عندنا بالتاليف الكبير.

واختلف العلماء في صيغته؛ فبعض العلماء يرى أنه يقتصر فيه على التهليل — لا إله إلا الله - ويرى آخرون كالإمام السراج، والقصار أنه يلزم أن تقرن بالشهادة الثانية - محمد رسول الله. وبالثاني أخذ الشيخ عبدالسلام. وعدده سبعون ألفا. ويجوز توزيعها على أشخاص متعددين وعلى أيام متفرقة. والفور فيها والمسارعة إليها أولى وأفضل[2] ولو فرض أن جمعا اجتمع عند أهل الميت يبلغ عدده سبعون شخصا يسبحون تلك الصيغة عشر سبح «1000 حبة» فيكون الحاصل سبعين ألفا.

وثمرة هذا الإهداء عتق الميت من النار.

3 - حكم التهليل:

جرى عمل الناس على العمل بالتهليل، واستحبه الفقهاء، قال ابن ثابت:

1) انظر كتاب الروح 159 - 193.
2) انظر معيار الوزاني 5 - 7 ومواهب الرحيم 312.

استحب الأئمة إذا مات أحد من الإخوان أن يجتمع إخوانه يهللون ويهدون إليه من أجل عتقه من النار[1]. وقال الإمام القرافي ـ وهو أحد الأئمة المجتهدين في المذهب المالكي ـ: والتهليل الذي عادة الناس يعملونه اليوم ينبغي أن يعمل. ويعتمد في ذلك على فضل الله. وما ييسره ويلتمس فضل الله بكل سبب ممكن ومن الله الجود والإحسان[2].

4 ـ ويستنبط من كلام الشيخ عبدالسلام وفتوى هؤلاء الأئمة أنهم ممن يقرون الإجتماع عند أهل الميت؛ لأن أهل الميت لا يصبرون أن يبقى ميتهم في النار ولا يقدرون وحدهم على كل هذا العدد. والإجتماع قد يكون فيه الأكل والشرب على ما هو معهود عندنا على مرأى ومسمع ومشاركة من الفقهاء الأجلة المتضلعين في التخصص.

فما رأي الشريعة في هذا؟ وكيف يكون التوفيق بين هذا وبين الآثار التي تحرم الإجتماع عند أهل الميت؟

5 ـ مجتمع النياحة الذي يقصده الصحابة

وردت آثار تحرم الإجتماع عند أهل الميت كأثر جرير بن عبدالله البجلي الذي قال فيه: كنا نرى الإجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام من النياحة[3]. وهناك أحاديث وآثار أخرى تجوز الإجتماع كحديث النسائي الذي جاء فيه: مات ميت من آل رسول الله ـ ﷺ ـ فاجتمع النساء يبكين عليه فقام عمر ينهرهن ويطردهن، فقال رسول الله ﷺ: «دعهن ياعمر؛ فإن العين باكية، والقلب مصاب، والعهد قريب»[4].

ففي هذا الحديث ذهاب النساء إلى العزاء، وتجمعهن في مكانه، ولبثهن فيه كما قال الرسول ـ ﷺ ـ: «دعهن». وجاء في أثر عائشة في صحيح البخاري ما يفيد الإجتماع عند أهل الميت وصنعة الطعام، وسيأتي قريبا.

1) معيار الوزاني 2 / 9.
2) الفروق 3 / 194.
3) صحيح سنن ابن ماجة ـ الألباني ـ 1 / 269.
4) النسائي ـ السيوطي 4 / 19.

والقاعدة الأصولية لدراسة هذه النصوص أن يحمل كل نص من النصوص على وجه من الوجوه غير الذي يحمل عليه النص الآخر؛ لأن إعمال الدليلين أولى من إهمال أحدهما بالكلية؛ لكون الأصل في الدليل هو الإعمال لا الإهمال[1].

فيحمل أثر جرير وما شابهه على الإجتماعات التي كانت تحدث في الجاهلية وفي بدايات الدولة الإسلامية والناس يدخلون في دين الله أفواجا بعاداتهم وتقاليدهم التي لم يهذبهاالإسلام بعد، والتي كان فيها ما يبعد السلوى عن أهل الميت، ويهييج الأسف عليهم، فيؤدي إلى تعذيب نفوسهم، وقلة صبرهم وضجرهم، وربما بعثهم على القنوط وشق الجيوب، وضرب الخدود. ويكون أمرها كأمر النعي[2] الذي أبيح فيه إعلام وحرم إعلام، وماحرم الذي حرم إلا لما يصحبه من النياحة والتسخط[3].

وتحمل أحاديث الجواز على الإجتماعات التي تحدث فيها التعزية، والتسلية، والذكر، والتذكير بالله، وجزائه الحسن.

ومما يستأنس به على هذا التوجيه أربعة أمور:

1 - ماروواه أبو داود والنسائي عن عبدا الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قبرنا مع رسول الله ﷺ يعني ميتا فلما فرغنا انصرف رسول الله ﷺ وانصرفنا معه، فلما حاذى رسول الله ﷺ بابه وقف فإذا نحن بامرأة مقبلة قال: أظنه عرفها، فلما ذهبت إذا هي فاطمة - رضي الله عنها - فقال لها رسول الله - ﷺ: «ما أخرجك يافاطمة من بيتك؟». قالت: أتيت يارسول الله أهل هذا الميت فرحمت إليهم ميتهم أو عزيتهم فيه. فقال رسول الله ﷺ: «لعلك بلغت معهم الكدا؟». فذكر تشديدا في ذلك. قال: فسألت ربيعة بن سيف عن الكدا قال: القبور فيما أحسب.

قال المنذري: رواه أبو داود والنسائي بنحوه إلا أنه قال في آخره: «لو بلغتها معهم مارأيت الجنة حتى يراها جد أبيك». وربيعة هذا من تابعي أهل مصرفيه مقال

1) نهاية السول للأسنوي 3 / 158.
2) هو الإعلام بموت الميت.
3) انظر كتابي مراسم الجنازة في الشريعة الإسلامية ومعيار الوزاني 2 / 36 - 37.

لا يقدح في حسن الإسناد[1].

- ففي حديث النسائي السابق بيان جواز الإجتماعات. وفي هذا الحديث بيان ما يحدث فيها من التعزية والتسلية والدعاء والترحم على الميت.

والتعزية والترحم نوعان من أنواع العبادة يلحق بهما غيرهما كقراءة القرآن والتسبيح والذكر مما ينفع الميت والحي.

2 - أخرج الإمام أحمد في الزهد وأبو نعيم في الحلية عن طاوس - من كبار التابعين - قال: إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعا فكانوا - أي الصحابة - يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام

وقد أخرجه أيضا السيوطي في كتابه شرح الصدور[2]

وطاوس هذا عاشر عشرات الصحابة وفي مقدمتهم عبد الله بن عباس ترجمان القرآن.

والتاليف الذي يقوم به الناس اليوم أحد الأيام السبعة التي ينبغي ويستحب فيها إطعام الطعام فلا وجه للقول بتحريمه أو كراهته، وسيأتي حين الكلام على التاليف فتوى الإمام المحقق سعيد بن لب بجواز الإجتماعات. وإطعام الناس فيها.

3 - يستند بعض من يفتي بكراهة الإجتماع وإطعام الطعام على الإتفاق الحاصل على هذه الكراهية[3]. وهذا الإتفاق - إن وجد - يقوي توجيهي السابق؛ لأن أثر جرير يقول: كنا نعده من النياحة. والنياحة - كما هو معلوم - حرام، فلولا اختفاء أسباب التحريم في الإجتماع للطعام ماكانت فتواهم مقتصرة على الكراهة دون الحرمة.

وهنا ينبغي أن ينبه على البعد الحاصل بين الحكم بالكراهة والإستدلال عليه بأثر

1) الترغيب والترهيب 4 / 358 - 359.
2) شرح الصدور لوحة 11 والسند الذي رواه أبونعيم هو حدثنا أبوبكر بن مالك حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبو هاشم بن القاسم حدثنا الأشجعي عن سفيان قال: قال طاوس / الحلية 4 / 11.
3) الفتح الرباني 8 / 95.

جرير هذا؛ فالنص يفيد التحريم والحكم الذي يستدل له هو الكراهة.

ولو استدل من يحكم بكراهة إطعام أهل الميت الطعام بقوله ﷺ: اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم مايشغلهم. لكان أقرب في الأستدلال من حيث إن الناس مأمورون بأن يصنعوا لهم طعاما لا العكس.

مع أن الحديث لا يعتبر نصا في الكراهية؛ لأنه موجه إلى الآخرين لا إلى أهل الميت ولأن فعل النبي ﷺ قد يعتبر إرشادا وتوجيها للأفضل. ولا يعني أن ماسواه منعدم فيه الفضل والإستحباب. أو أنه مقتصر على الزمن الأول الذي يفجع فيه الخبر أهل الميت. والميت فيه مستغن عن الإطعام بصلاة المصلين عليه وتوجه الدعاء المتتابع له هم بعد ذلك مطالبون بالتصدق على ميتهم وإطعام الطعام عنه.

والحق في المسألة - كما يظهر - أن صنعة الطعام لمجتمعات العزاء الإسلامي غير مكروهة ولا محرمة.

4 - القياس الفقهي:

القياس الفقهي هو إلحاق مسئلة لم تنص عليها الشريعة بمسئلة أخرى نصت عليها لمعنى مشترك بينهما كإلحاق المخدرات بالخمور في الحرمة لوجود الإسكار وذهاب العقل في كل منهما.

ويقتضي هذا القياس أنه لايجوز إلحاق الإجتماعات عند أهل الميت وصنعة الطعام بالنياحة إلا إذا وجدت علة مشتركة بينهما، والنياحة ماحرمت في الشريعة إلا لدلالتها على التبرم والتسخط وعدم الرضا فهل الإجتماعات التي تحدث فيها التعزية والتسلية والترحم على الميت وقراءة القرآن والذكر لها علاقة بالنياحة وبالتالي يستدل لها بأثر جرير؟ أم هي على العكس من هذا فيكون من سوء الاستدلال وضعف التفقه إيراده كدليل على هذه الإجتماعات؟ ومثله صنعة الطعام للناس صدقة عن الميت لاعلاقة له بالنياحة والتسخط على القدر. والتبرم به وبالتالي لاعلاقة له بأثر جرير.

5- إن الإمام السيوطي - وهو أحد الأئمة المجتهدين - لما تحدث في كتابه تاريخ الخلفاء عن هارون الرشيد عد من محاسنه أنه لما بلغه موت الإمام ابن المبارك جلس

للعزاء وأمر الأعيان أن يعزوه فيه[1]. ولولا اختفاء ظواهر التسخط وأفعال النياحة في الإجتماع وبروز ظواهر التعزية، والتسلية ما عد السيوطي جلوس هارون الرشيد للعزاء فعلا حسنا. والسيوطي أشهر من نار فوق علم في جمعه وحفظه وفقهه.

- وإذا كان الأمر هكذا فلا يحتج بأثر جرير بن عبد الله البجلي على ظواهر الإجتماع سواء كان بدعوة أم بغيرها، عملها أهل الميت أو تحمل فيها الآخرون النفقات. والتي لا يكون فيها إلا التسلية، والتعزية، والترحم على الميت. والتهليل، وقراءة القرآن، وغيرها من الأمور التي لا يجد فيها الإنسان السوي ماينكر فقها ودينا.

- ودعوى المشابهة بين مناسبات الموت والفرح غير صحيحة؛ فالموقف هو الذي يحدد البواعث. ويرسم الدوافع، ويسدل على البيئة ثوبها المناسب لها؛ فرسول الله - ﷺ - كان يرسل الهدايا إلى صديقات خديجة صلة، وودا وكرما، وهنا بعث بالطعام إلى بيت الميت بيت جعفر - رضي الله عنه - بالرغم من أن المرسل - بفتح السين - يشبه بعضه بعضا، ولكن الموقف ميز بين الإثنين فهذا موقف حزين باك وذلك موقف سعيد هاني، ويجمعهما العطاء والكرامة.

إطعام أهل الميت أقاربهم وأصدقاءهم:

روى البخاري عن عائشة - زوج النبي - ﷺ أنها كانت إذا مات الميت من أهلها فاجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلا أهلها، وخاصتها أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت، ثم صنع ثريد فصبت التلبينة عليها ثم قالت: كلن منها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: التلبينة مجمة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن"[2].

- ويؤخذ من هذا الأثر:

أ - جواز أن يجعل ويصنع أهل الميت طعاما لأقاربهم؛ لأن كلمة الأهل في

1) تاريخ الخلفاء 285.

2) البخاري - الفتح 11 / 482 والتلبينة طعام من دقيق والثريد أن يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم فتح الباري 11 / 482 وعلى هذا التفسير فهو قريب من أكلة البازين عندنا.

الأصل تطلق على القرابة[1]

وكذلك خاصتهم. ويدخل في خاصة الأصدقاء الخلص والأصهار.

2 - ملازمة الخاصة لأهل الميت وتسليتهم. وينبغي أن يقيد هذا بأن لا يجر الفقر لأهل الميت ويخلي مراحهم بسبب هذه الملازمة كما يحدث في بعض مناطق الريف. والتردد في الضحى، وساعة العشية، وبعد صلاة العشاء يبعد عن أهل الميت التكلف، والعناء، والمشقة.

3 - الأولى من الآخرين غير الأقارب والأصدقاء الإنصراف عند قرب حلول وقت الطعام.

4 - جعل الأكلة الخفيفة النافعة في مثل هذه المناسبات.

5 - جواز الإجتماع عند أهل الميت فاجتمع لذلك النساء.

مجمل الأحاديث والآثار التي وردت في هذا الموضوع:

يمكن أن نصنف الأحاديث والآثار السابقة من حيث الدلالة إلى:

1 - أحاديث تدل على مجتمعات العزاء الجاهلي وما شابهها كنص جرير السابق.

2 - أحاديث تدل على مجتمعات العزاء الإسلامي كحديث النسائي وأبي داود.

3 - آثار تدل على جواز إطعام أهل الميت أقاربهم وأصدقاءهم كأثر عائشة الذي رواه البخاري.

4 - آثار تدل على جواز إطعام الناس مطلقا كأثر طاوس الذي رواه الإمام أحمد في كتابه الزهد وأبو نعيم في كتابه الحلية، والسيوطي في كتابه شرح الصدور.

حكم التاليف

التاليف عبارة أن يجمع أهل الميت الناس ويطعموهم من أجل الذكر والتسبيح لميتهم.

وجرى العرف في بلاد تاجوراء قديما أن يعمل في اليوم الأول أو السابع على ما

1) المصباح المنير مادة أهل.

أقره فقهاء النعاعسة رحمهم الله تعالى استنادا إلى فتوى الإمام المحقق سعيد بن لب[1]، وفي الزمن الحاضر يعمل في اليوم الثالث اعتناما للتجمع الحاصل في الأيام الأولى.

أسس التاليف

يستند التاليف على ثلاثة أسس:

1. إطعام الطعام صدقة عن الميت والصدقة تصل بإجماع المسلمين سواء كانت من ولد أو من أجنبي[2] واقتداء بالصحابة — رضي الله عنهم — فعن طاوس «أن الصحابة كانوا يستحبون أن يطعموا عن الميت سبعة أيام لأنهم يفتنون في قبورهم».

وأورد الهيثمي في «باب الطعام يصنع» عن عمران بن حصين لما حضرته الوفاة قال: إذا أنا مت فشدوا على بطني عمامة، وإذا رجعتم فانحروا وأطعموا»[3].

2. التهليل والذكر من أجل نفع الميت بإهداء ثواب الذكر له، وإهداء الثواب قد وردت فيه أحاديث صحيحة متفق على صحتها؛ كقوله ﷺ في العبادات البدنية: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»، وقوله في العبادات المركبة من المالية والبدنية حين سألته امرأة عن الحج عن أمها: «حجي عنها».

والتاليف مركب من العبادات المالية والبدنية «حركة اللسان» وبوصول الثواب إلى الميت قال كثير من أئمة المالكية المجتهدين؛ كابن رشد، وابن العربي والقرطبي صاحب التذكرة[4].

وقد أطال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «الروح» النفس في الإستدلال على وصول الثواب للميت. وفي الرد على المعارضين للوصول.

- وقد يكون التاليف أيضا من أجل رفع العذاب استنادا إلى تحليل كثير من

1) معيار الونشريسي 1 / 317.
2) نيل الأوطار 105/4
3) تقدما وأثر عمران أوردته للإستفادة من العنوان الذي جعله له الحافظ ((باب الطعام يصنع))
4) تهذيب الفروق 3 / 223.

العلماء حديث الجريدتين الذي جاء فيه: مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال النبي ﷺ: «يعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، كان أحدهما لايستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة، ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له يارسول الله لم فعلت هذا؟ قال ﷺ: لعله يخفف عنهما ما لم تيبسا»[1].

قال القاضي عياض في شرحه على صحيح مسلم: أخذ العلماء من هذا الحديث استحباب قراءة القرآن على الميت؛ لأنه إذا خفف عنهما بتسبيح الجريدتين وهما جماد فقراءة القرآن أولى[2].

وعلى نفس النسق يصح لنا أن نقول: إذا كان تسبيح الجريدة يخفف ويرفع العذاب فتسبيح البشر من باب أولى.

تحديد الوقت بزمن معين

يعمل التاليف في الزمن الحاضر في اليوم الثالث اغتناما للتجمع الحاصل في الأيام الأولى، والمصابون عاجزون عن إقامته في اليوم الأول والثاني نتيجة الصدمة الأولى ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾.

واغتنام التجمع الحاصل في زمن معين لغرض ديني معهود في الشريعة، فقد كان ﷺ يغتنم تجمع الجاهلية في أيام موسم الحج من أجل نشر الدعوة الإسلامية.

فاغتنام التجمع الحاصل في اليوم الثالث من أجل الذكر والتسبيح وإقامة التاليف فيه من السنة النبوية الشريفة.

فوائد التاليف

يمكن أن نجمل فوائد التاليف فيما يأتي:

1 - نفع الميت ورفع العذاب عنه.

2 - تثبيت الميت عند سؤال الملكين.

3 - الإقتداء بالنسبة النبوية في اغتنام التجمع الحاصل لغرض ديني.

---

1) البخاري ومسلم.

2) انظر كتاب كشف الشبهات في إهداء الثواب إلى الأموات لمحمود حسن ربيع 172.

4 - تواصل الأقارب والأصدقاء وسائر المسلمين.

5 - هذا التواصليعبر عن التساند والتعاطف والتراحم.

6 - يعود الناس على الذكر والتهليل ويعرفهم على صيغه المختلفة.

7 - حضور صلاة المغرب والعشاء جماعة.

8 - بحضور الصغار يتم نقل هذه القيم إلى الأجيال المقبلة.

9 - الذكر يشفي القلوب الحزينة ويذهب عنها الإضطراب ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.

10 - يجمع شرائح المجتمع المختلفة - العالم والجاهل، المدرس والتلميذ، الكبير والصغير، الرئيس والمرؤس - في صعيد واحد ومكان واحد مما يساعد على نمو التقارب والتآلف والتعارف.

11 - الحصول على الدعوات المجابة، قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع قوم مسلمون فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم إلا استجاب الله دعاءهم»[1].

الصور الشرعية للتاليف:

1 - أن يعمل من مال الآخرين كما يحدث في كثير من مناطق بلادنا فهذا جائز ولهم فيه الأجر والثواب «وتعاونوا على البر والتقوى» على أن يكون تجميع المال من الآخرين على سبيل التطوع والإختيار لا على سبيل الفرض والإلزام.

2 - أن يعمل من مال المصاب البالغ تطوعا منه لنفع ميته فهذا جائز لا حرج فيه، وغالب مجتمعنا يفعلونه لهذا القصد.

3 - أن يكون من مال يتامى فهذا حرام بالإجماع ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾.

4 - أن يصنع رئاء الناس ولطلب ثنائهم فهذا وزر لا خلاف فيه.

5 - أن يصنع من تركة الميت إذا وصى به ولا دين عليه يستغرق جميع ماله فهذا - كما قال البرزلي - جائز حلال[2].

1) أخرجه الحاكم على شرط مسلم / زروق على الرسالة 1 / 201.
2) معيار الوزاني 2 / 14.

6 ـ أن يصنع اتقاء كلام الناس فيه لو تركه فهذا كما قال ابن حجر ــ يرجى أن يكتب له ثواب ذلك أخذ من أمره ـ ﷺ ـ من أحدث في الصلاة بوضع يده على أنفه وعللوه بصون عرضه عن خوض الناس فيه لو انصرف على غير هذه الكيفية[1].

خلاصة:

مانخرج به من هذا البحث هو سلامة رأي الشيخ عبدالسلام الأسمر فيما ذهب إليه، وفيما يستنبط من كلامه من جواز الإجتماع عند أهل الميت، والقيام بما يسمى عندنا بالتاليف. وسلامة عاداتنا الإجتماعية التي ورثناها عن أسلافنا، وأقرها فقهاؤنا الأعلام على مر الأجيال والأزمان لامدارة بل إدراكا لوجه الحقيقة في هذه المسائل، والجزئيات.

1) انظر الفتاوي الكبرى لابن حجر 2 / 7.

الفصل الخامس

الختم البغدادي

الصلاة على النبي - ﷺ - والختم البغدادي

1 - أمر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بالصلاة والسلام على رسوله ﷺ فقال: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾[1].

ورغب فيها رسول الله ﷺ فقال:

- «من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا»[2].

- «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات»[3].

- عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - ﷺ - إذا ذهب ربع الليل قام فقال: «يأيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله. جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه» قال - أي أبي بن كعب - : فقلت: يارسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «ماشئت» قلت: الربع؟ قال: «ماشئت وإن زدت فهو خير لك» قلت: النصف؟ قال: «ماشئت وإن زدت فهو خير لك» قال: الثلثين؟ قال: «ماشئت وإن زدت فهو خير لك» قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ فقال ﷺ : «إذا يكفي همك، ويغفر لك ذنبك».

قال الترمذي: حديث حسن صحيح، ورواه أحمد والحاكم وصححه[4]

2 - واستجابة لهذه الأوامر الإلهية والإرشادات النبوية:

أ) دعا الشيخ عبدالسلام الأسمر أتباعه إلى الصلاة على الرسول ﷺ وإلى كثرتها والدوام عليها قال: وعليكم بكثرة الصلاة عليه ﷺ بشوق وانزعاج، وصلوا عليه من صميم قلوبكم... وإذا فرغتم من أورادكم فلا تشتغلوا بذكر غير الصلاة على النبي ﷺ حتى تظهر لكم نتيجتها، ونتيجتها هو أن يجتلي القلب من الغفلة عن الذكر.

1) الأحزاب 56.
2) مسلم.
3) حديث صحيح / التيسير بشرح الجامع الصغير 2 / 427 - 428.
4) الترغيب والترهيب 2 / 501.

وإياكم، ثم إياكم، ثم إياكم أن تتركوا الصلاة على النبي ﷺ فإنه لا يفتح الباب إلا بعد ذكر النبي ﷺ [1].

ب) جعلها الشيخ في أوراده التي أرشد إليها أتباعه ومريديه، والصيغة المشهورة عنده: اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما [2].

وضم الشيخ في الصلاة عليه الصلاة على آله؛ لأن كما قال الشوكاني - جميع التعليمات الواردة عنه - ﷺ - في الصلاة عليه مشتملة على الصلاة على آله معه إلا النادر اليسير من الأحاديث فينبغي للمصلي عليه أن يضم آله إليه في صلاته عليه[3].

ج) حرص عليها في مقطعاته؛ فأغلب قصائد المدح فيها الصلاة على رسول الله - ﷺ -[4].

- وجعل الشيخ الصلاة على رسول الله - ﷺ - في قصائده التي طلب من أتباعه أن يذكروها في الوظيفة حال الوجد يفيد أنه يبيح السماع للقصائد التي تتضمن مدح الله ومدح رسوله - ﷺ - وهذا يدفعنا إلى الحديث عن هذه القصائد التي تتلى بمناسبة المولد النبوي الشريف على مسامع الناس، وما يتبعها من الإحتفالات، وإقامة الولائم والموائد، وبيان رأي العلماء فيها.

الإحتفالات بالمولد

جرى الشأن في الديار الليبية أن تعقد ليالي للذكر قبيل مناسبة المولد النبوي الشريف تتلى فيها القصائد المتنوعة في مدح رسول الله - ﷺ - يتلون في كل ليلة جزءا وفي الختام يقيمون الولائم، وينصبون الموائد احتفالا بهذه الذكرى العطرة.

وهذه الإحتفالات تعبر عن ثلاثة مبادئ تعترف بها الشريعة الإسلامية:

1) مواهب الرحيم 261 - 262.
2) مرجع السابق 282.
3) فتح القدير 4 / 304.
4) مواهب الرحيم 220 - 255.

1 ـ المبدأ الأول أن النعمة تقابل بالشكر.

2 ـ المبدأ الثاني أن المولد نوع من أنواع النعم.

3 ـ المبدأ الثالث الإنفاق في الأوقات الفاضلة.

المبدأ الأول:

استدل العلماء على أن النعمة تقابل بالشكر بما ثبت في الصحيحين أن النبي ـ ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: «ما هذا؟» قالوا: يوم صالح نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى. فقال: «أنا أحق بموسى منكم» فصامه وأمر بصيامه[1].

ويستفاد من هذا الحديث ـ كما قال الحافظ بن حجر ـ فعل الشكر لله على ما منّ به في يوم معين من إسداء نعمة، أو دفع نقمة. ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة.

والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود. والصيام. والصدقة. والتلاوة.

وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم. وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء[2].

يقول العباس عم رسول الله ـ ﷺ ـ:

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق[3].

. واختلف العلماء في شهر ويوم ولادة النبي ـ ﷺ . فجمهور العلماء أنه في ربيع الأول في الثاني عشر منه، وقيل لليلتين خلتا منه، وقيل لثمان خلت منه، وقيل لعشر. وقيل لأثنى عشر. وقيل لسبع عشر، وقيل لثماني عشر، وقيل لثمان بقين منه[4].

1) متفق عليه / نيل الأوطار 4 / 270.
2) الحاوي للفتاوي 196.
3) لطائف المعارف 89.
4) المرجع السابق 95.

فمن فاته الإحتفال في ليلة الثاني عشر منه فليتحر إحدى هذه الليالي حتى ينطبق حكم الحديث السابق عليها.

ما يعمل في المولد:

قال الإمام السيوطي: ينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من التلاوة، والإطعام، والصدقة، وإنشاد شيء من المدائح النبوية، والزهدية المحركة للقلوب على فعل الخير، والعمل للآخرة.

وأما مايتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال ماكان من ذلك مباحا بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به، وما كان حراما، أو مكروها فيمنع، وكذا ماكان خلاف الأولى[1].

وسلم الإمام ابن القيم بسماع القصائد التي فيها مدح لله ولرسوله ـ ﷺ ـ ولدينه، وكتابه، أو فيها هجاء لأعدائه، وقال: لم يزل المسلمون يرونها، ويسمعونها، ويتدارسونها، وهي التي سمعها رسول الله ﷺ ـ وأصحابه، وأثاب عليها، وحرض حسانا عليها[2].

وأخرج ابن عساكر عن زيد بن أسلم قال: خرج عمر بن الخطاب يحرس فرأى مصباحا في بيت فدنا فإذا عجوز تطرق شعرا لها ـ أي تنفشه ـ لتغزله، وهي تقول:

على محمد صلاة الأبرار صلى عليك المصطفون الأخيار

قد كنت قواما بكى الأسحار ياليت شعري والمنايا أطوار

هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي ـ ﷺ ـ فجلس عمر يبكي، فمازال يبكي حتى قرع الباب عليها، فقالت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب. قالت: ومالي ولعمر؟ ومايأتي بعمر هذه الساعة؟ فقال: افتحي رحمك الله فلابأس عليك. ففتحت له فدخل، فقال لها: رددي علي الكلمات التي قلت آنفا. فرددت عليه، فلما بلغت آخرها قال: أسألك أن تدخليني معكما ـ أي في الدعاء ـ قالت: وعمر فاغفر له ياغفار

1) الحاوي 196.
2) مدارج السالكين 1 / 492.

فرضي، ورجع[1].

والشاهد جواز الإستماع لقصائد المدح النبوي، وجواز طلب إلقائها، واعتقاد قبولها عند الله حتى طلب منها عمر أن تدخله في هذا القصيد فأدخلته، ورضي بهذا الصنيع.

المبدأ الثاني

يعتبر المولد النبوي الشريف من أكبر النعم التي خص الله بها هذه الأمة، وفضلها به على كثير ممن خلق تفضيلا.

وقد أشار - ﷺ - إلى فضيلة هذا الشهر للسائل الذي سأله عن صوم يوم الإثنين، فقال له عليه الصلاة والسلام: «ذاك يوم ولدت فيه»[2].

وتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذي ولد فيه فينبغي - كما قال ابن الحاج - أن نحترمه حق الإحترام، ونفضله بما فضل الله به الأشهر الفاضلة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر». ولقوله عليه الصلاة والسلام: «آدم ومن دونه تحت لوائي».

وتشريف الأزمنة والأمكنة إنما يحصل بما خصت به من المعاني فانظر - رحمنا الله وإياك - إلى ما خص الله تعالى به هذا الشهر الشريف، ويوم الإثنين[3].

وماكان تفضل ليلة القدر على سائر الليالي إلا بنزول الملائكة فيها. قال الله تعالى: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾[4].

المبدأ الثالث:

كان النبي - ﷺ - يخص الأوقات الفاضلة بزيادة فعل الخير والمبرات؛ فقد كان

1) محمد رسول الله 413.
2) مسلم.
3) المدخل 2 / 4.
4) القدر 3 - 4.

أجود الناس بالخير، وكان أجود مايكون في رمضان[1]؛ لأن الجود في الأوقات الفاضلة يزيد في ثواب النفقة والعطاء.

فإذا كانت هذه المبادئ الثلاثة مسلمة في الشريعة الإسلامية، وكانت الإحتفالات بالمولد في مجتمعنا تعبر عن هذه المبادئ الثلاثة فينبغي أن نحكم بجواز إقامتها، وبجواز المشاركة فيها.

ويجب هنا أن نزيل الشبهة التي تعلق ببعض الأذهان وأن نجيب عن سؤالين يعترض بهما المعترضون عن إقامة مثل هذه الإحتفالات، وهما:

1 ـ إن النبي ـ ﷺ ـ لم يفعل هذه الإحتفالات، ولم يقم بها، فكيف تحكمون بجوازها؟

2 ـ لم يثبت عن السلف الصالح أنهم أقاموا مثل هذه المناسبات مع أنهم خير خلق الله.

أما السؤال الأول فقد أجاب عنه ابن الحاج ـ رحمه الله تعالى ـ فقال: إن المعنى الذي لأجله لم يلتزم عليه الصلاة والسلام شيئا في هذا الشهر الشريف إنما هو ماقد علم من عاداته الكريمة في كونه عليه الصلاة والسلام يريد التخفيف عن أمته والرحمة لهم سيما فيما كان يخصه عليه الصلاة والسلام؛ ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام في حق حرم المدينة: «اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم المدينة بما حر به إبراهيم مكة ومثله معه» ثم إنه عليه الصلاة والسلام لم يشرع في قتل صيده، ولا في قطع شجره الجزاء تخفيفا على أمته، ورحمة لهم، فكان عليه الصلاة والسلام ينظر إلى ماهو من جهته وإن كان فاضلا في نفسه يتركه للتخفيف عنهم. فما أكثر شفقته ﷺ بأمته جزاه الله عنا خيرا أفضل ماجزى نبيا عن أمته[2].

على أنه ينبغي أن نلاحظ أنه ﷺ قام بما يعبر عن الشكر على النعمة بالصوم لله تعالى. والتعبير عن شكر النعمة في الشريعة الإسلامية قد يكون بالصوم وقد يكون بإطعام الطعام كما فعل عمر بن الخطاب حين حفظ سورة البقرة فنحر جزورا.

1) البخاري.
2) المدخل 2 / 5.

عدم فعل السلف ليس دليلا على عدم الجواز:

يعترض بعض الناس على هذه الإحتفالات بأن السلف الصالح لم يفعلها ولم يقم بها وهم أفضل الخلق عند الله، فلو كان فيها الخير لعملوها؛ لأنهم أحرص الناس على الخير كما قال الرسول ـ ﷺ : «خير كم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، والخير في الإتباع والشر في الإبتداع.

والجواب عن هذا الإعتراض بأن الحديث الذين يستدلون به لا نص فيه على مايذهبون إليه، وإنما معناه أن الصحابة والتابعين وتابعيهم خير القرون في التمسك بمجموع ماظهر لهم من أوامر الشريعة سواء كانت الأوامر صريحة أم مستنبطة، فهم فيما ظهر لهم خير من القرن الذين بعدهم فيما ظهر لهم، وهكذا التابعون مع تابعيهم وهكذا كل عام مع العام الذي بعده.

وليس في الحديث دلالة على أن الصحابة والسلف لا يفوتهم شئ من الفهم في النصوص الدينية التي يعلمونها. كيف وقد قال رسول الله ـ ﷺ : «رب مبلغ أوعى من سامع»، والمبلغ ـ بفتح اللام ـ في الحديث الشريف لا يقتصر على القرون الثلاثة الأولى بل هو عام في كل جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال المهلب: يؤخذ من الحديث أنه يأتي في آخر الزمان من يكون له من الفهم والعلم ماليس لمن تقدمه وإن كان قليلا؛ لأن رب موضوعة للتقليل[1]. وقال ابن رشد: رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ومبلغ حديث إلى من هو أوعى منه[2]. وقال ابن خلدون: الفضل ليس منحصرا في المتقدمين وفضل الله يؤتيه من يشاء[3].

الخلاصة :

وخلاصة المسألة أن سماع القصائد التي فيها مدح لله ولرسوله ـ ﷺ ـ والتي سلم بها الشيخ عبدالسلام الأسمر وتسير عليها بعض الطرق كالعيساوية فيما يسمى عندنا بالبغدادي، وإقامة الإحتفالات والولائم عند ختمه ليس في كل هذا مايخالف الشريعة الإسلامية بل هو في الحقيقة صورة حية، وتعبير قوي عن محبة

1) نيل الأوطار 3 / 350 ـ 351.
2) البيان 1 / 31.
3) المقدمة 532.

رسول الله - ﷺ - اللهم إلا أمر المشاركة في هذه الإحتفالات فلا يكون إلا على سبيل التطوع والإختيار، لا الفرض والإلزام والطلب من الناس وإحراجهم، فمن رغب أن يشارك من تلقاء نفسه بلا طلب فله عند الله الأجر العظيم، ومن لا فليترك في حاله، ولا يتعرض له.

ونختم هذا الفصل بفتوى الإمام المحقق أبي سعيد بن لب حينما سئل عن جماعة من المسلمين يجتمعون في رباط على حافة البحر في الليالي الفاضلة يقرؤن جزءا من القرآن، ويسمعون من كتب الوعظ والرقائق ما أمكن في الوقت، ويذكرون الله عز وجل بأنواع التهليل، والتسبيح، والتقديس، ثم يقوم من بينهم قوال يذكر شيئا في مدح النبي - ﷺ - ويلقي من السماع ما يشوق النفوس إليه وتشتاق سماعه من صفة الصالحين، ونعت المتقين، وذكر آلاء الله ونعمائه، ويشوقهم بذكر المنازل الحجازية والمعاهد النبوية فيتواجدون اشتياقا لذلك، ثم يأكلون ماحضر من الطعام، ويحمدون الله سبحانه، ويرددون الصلاة على النبي - ﷺ - ويبتهلون بالأدعية إلى الله في صلاح أمورهم، ويدعون للمسلمين وإمامهم، ويفترقون على ذلك فهل يجوز اجتماعهم على ما ذكر ويباح لهم، أو يمنعون من ذلك وينكر عليهم؟ ومن دعاهم من المعتقدين أو المحبين إلى منزله بقصد التبرك فهل يجيبون دعوته ويجتمعون معه على الوصف المذكور أم لا؟

فأجاب: وقفت على المكتوب بالأعلى ومجالس تلاوة القرآن، وذكر الله تعالى هي رياض الجنة كما جاء في الحديث، وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ماجلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وتنزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده».

وقال تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾[2].

وقال في الصدقات: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم﴾[3].

1) الأحزاب 41.
2) آل عمران 191.
3) البقرة 273.

وأما الإنشاءات الشعرية فإنما الشعر كلام، حسنه حسن. وقبيحه قبيح، وقد قال في شعراء الإسلام: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعدما ظلموا﴾(1). وذلك أن حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن زهير، وكعب بن مالك لما سمعوا قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون﴾(2). بكوا عند سماعها فأنزل الله تلك الآية عند عقبها واستثناهم فيها.

وقد أنشد الشعر بين يدي رسول الله ـ ﷺ ـ ورقت نفسه الكريمة، وذرفت عيناه لأبيات أخت النضر لما كان قد ضبع عليه من الرأفة والرحمة ﷺ.

وأما التواجد عند السماع فهو في الأصل آثار رقة النفس، واضطراب فيتأثر الظاهر بتأثر الباطن، قال الله تعالى: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾(3) أي اضطربت رغبا ورهبا.

وعن اضطراب القلب يحصل اضطراب الجسم قال تعالى: ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا﴾(4).

فإنما التواجد رقة نفسية وهذه قلبية ونهضة روحية. وهذا هو التواجد عن وجد، ولا يسمع فيه نكير من الشرع..... ووراء هذا تواجد لا عن وجد فهو مناط الذم لمخالفة ماظهر لما بطن فقد يقرب فيه الأمر عند القصد إلى استنهاض العزائم، وأعمال الحركة في يقظة القلب النائم «يأيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» ولكن شتان ما بينهما كما قال القائل في الواجد الباكي، والخلي المتباكي.

وفي الأحباب مختص بوجد وآخر يدعي معه اشتراكا
إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

ـ وأما من دعا طائفة إلى منزله فتجاب دعوته وله في ذلك قصده ونيته(5).

1) الشعراء 223 ـ 226.
2) الشعراء 223 ـ 226.
3) الأنفال 2.
4) الكهف 18.
5) المعيار للونشريسي 11 / 105 ـ 107.

الفصل السادس

البدع

البدع:

1 - دعت الشريعة الإسلامية إلى ترك المحدثات والبدع قال ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة»[1]. والمحدثات في الشريعة - كما قال الإمام ابن العربي - تنقسم إلى قسمين:

- محدث ليس له أصل إلا الشهوة والعمل بمقتضى الإرادة فهذا باطل قطعا.

ومحدث بحمل النظير على النظير. فهذه سنة الخلفاء والأئمة الفضلاء.

وليس المحدث والبدعة مذموما للفظ محدث وبدعة ولا لمعناها؛ فقد قال الله تعالى: ﴿مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ وقال عمر: نعمت البدعة هذه. وإنما يذم من البدعة ما خالف السنة، ويذم من المحدثات ما دعا إلى ضلالة(1).

قال العلامة الحفني في حاشيته على الجامع الصغير:

البدعة مالم يكن في عهده ﷺ وهي نوعان:

أ) حقيقة - وهي المقابلة للسنة - ما أحدث بعد الصدر الأول ولم يشهد له أصل من أصول الشرع.

وغلب إطلاقها على ماخالف أصول أهل السنة في العقائد. وهي البدعة المحرمة سواء كفر بها كإنكار علمه تعالى بالجزئيات أولا كالمجسمة والجهمية على الراجح إن لم تقل الأولى كالأجسام. وهي[2] المراد بالبدعة متى أطلقت والمراد بالحديث الذي خرجه ابن ماجه، وابن أبي عاصم في السنة، والديلمي عن ابن عباس: «أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته».

ب) المشتبهات:

تعرض على أصول الشرع فإن وافقت الواجب كانت واجبة. أو المندوب كانت مندوبة أو المكروه كانت مكروهة. أو المباح كانت مباحة.

وماذهب إليه العلامة الحفني من التفصيل ذهب إليه جمع من الأئمة الكبار،

1) العارضة 10 / 144 - 147. وانظر مناقشات للإمام الشاطبي في شرحه لرسالة ابن أبي زيد القيرواني قسم العقائد.

2) أي البدعة الحقيقية.

كالإمام عزالدين بن عبدالسلام سلطان العلماء، وتلميذه الإمام القرافي. وكلاهما من المجتهدين. والإمام النووي، ومحمد الزرقاني شارح الموطأ، وصححه الإمام المحقق ابن الشاط. وقال عنه الإمام المجتهد الشوكاني: إنه التحقيق وهو مايشير إليه قوله ﷺ: «من ابتدع بدعة ضلالةلا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها». قال الترمذي: حديث حسن.

قالوا: وحديث «وكل بدعة ضلالة» عام مخصوص[1] بالحديث السابق كتخصيص الجملة التي قبلها «كل محدثة بدعة» فلا يمكن أن تحمل هذه الجملة الأخيرة على العموم.

ومذهبهم هذا هو مذهب كثير من شراح الحديث، وعامة الفقهاء الأجلاء[2].

ومن أول من قسم البدعة إلى أقسام الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ فقد روى عنه أبونعيم أنه قال: «البدعة بدعتان؛ بدعة محمودة، وبدعة مذمومة. فما وافق السنة فهو محمود، وما خالفها فهو مذموم. وروى عنه البيهقي في مناقبه أنه قال: المحدثات ضربان:

ـ ما أحدث يخالف كتابا، أو سنة أو أثر، أو إجماعا فهذه بدعة الضلال.

ـ وما أحدث من الخير لا يخالف شيئا من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة[3].

2 ـ وكل ماتعرضت إليه في هذا الكتاب من المواضيع من ضرب الدف حالة الوجد، والإجتماعات عند أهل الميت، والقيام بما يسمي عندنا بالتاليف، والقيام بالإحتفالات في أعياد المولد وغيرها من أعمال الخير لا تخالف شيئا من الكتاب، والسنة بل هي كما عرفنا سابقا داخلة فيها، ومعبرة عليها.

3 ـ والشيخ عبدالسلام حينما دعا إلى الإبتعاد عن أهل البدع في قوله: «وإياكم ومخالطة أهل الهوى والبدعة، والخوارق والمستدرجين؛ فإنكم لاتنالون منهم إلا

1) انظر الفرق الرابع والخمسين والمائتين من تهذيب الفروق، والترمذي ـ العارضة ـ10 / 148 ونيل الأوطار 3 / 60.
2) انظر الإبداع في مضار الإبتداع 119.
3) فتح الباري 17 / 10.

الظلمة، والشك في الإعتقادات الجميلة، فلا تخالطوهم ولا تقربوهم"[1] فإنما يعني الذين خالفوا السنة وخرجوا عنها وعن الكتاب أو الأثر أو الإجماع.

ويعبر بهذا عن حرصه التام على السير في ظلال الشريعة الإسلامية وكنفها العام.

تنبيه:

من المسائل التي يلتزم بها مشائخ الطريقة العروسية الأسمرية مسألة الدعاء الجماعي بعد الصلاة رغم أنها لم تكن في السلف الأول فهل تقر لهم الشريعة هذا السلوك وترتضيه أم تحبذ تركه والإعراض عنه؟ هذا ماسندرسه في هذه الفقرة:

أولا: عمر هذا السلوك:

جرى العمل منذ آماد طويلة أن يدعو الإمام بالناس بعد الفراغ من معقبات الصلاة، وقد أقر هذا العمل أئمة مجتهدون في الفقه المالكي كابن عرفة، والغبريني، وغيرهما من الأئمة المجتهدين، وسار على منوالهم العلماء والمشائخ على مر الأجيال والأزمان حتى يوم الناس هذا. وعارض هذا العمل أئمة وفقهاء آخرون.

وعلى الفريق المجيز لهذا العمل أن يجيب على ثلاثة نقاط هي:

1- مشروعية الدعاء الجماعي.

2 - لماذا لم يفعله ﷺ؟

3 - كيف لم ينتبه الصحابة لهذا مع أنهم خير خلق الله؟

مشروعية الدعاء الجماعي:

من الأحاديث التي استدل بها على مشروعية الدعاء الجماعي ماخرجه الحاكم على شرط مسلم من طريق حبيب بن مسلمة الفهري - رضي الله عنه - قوله ﷺ: "لا يجتمع قوم مسلمون فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم إلا استجاب الله دعاءهم".

قال ابن ناجي: وكان بعض من لقيته ينصره بأن الدعاء ورد الحث عليه من حيث الجملة؛ فقال تعالى: ﴿أدعوني أستجب لكم﴾ وإذا صار شائعا ذائعا فعله كما هو عندنا فالغالب على من نصب نفسه لذلك نفي العجب[2].

1) مواهب الرحيم 274.

2) انظر زروق وابن ناجي على الرسالة 1 / 201.

عدم فعل النبي ﷺ

وعدم دعاء النبي ﷺ بالجماعة مع وجود المقتضى للدعاء سببه عدم انتفاء المانع، ذلك أن بقاء النبي - ﷺ - كان من أسبابه انتظار خروج النساء، والنساء كن يخرجن مباشرة بعد السلام كما قالت أم سلمة رضي الله عنها[1]- فإذا كان سيدعو بالجماعة بعد أذكاره[2] فلن يخرج النساء انتظارا للدعائه المستجاب، وخروجهن بعده ربما كان سببا لريبة ما، لأن الرجال قد فرغوا من الأذكار ومما يشغلهم عن النساء فتركه - ﷺ - الدعاء بالجماعة رغم ما فيه من المصلحة الواضحة لخوف مفسدة أعظم. ومعلوم في الشريعة أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وأن الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما. فإن انتفت العلة كحال مساجدنا اليوم فيستحب الدعاء الجماعي عملا بحديث الحاكم الذي تقدم آنفا.

فتوى عمر بن الخطاب:

فإن قلت: ما تقدم قد يعارضه ما روي عن عمر بن الخطاب حين استأذنه أحد الأئمة أن يدعو بقومه فقال: لا . لأني أخشى عليك أن تنتفخ حتى تصل إلى الثريا[3].

فالجواب أن قصة عمر تؤيد ما سبق وتقويه، لأن ترك عمر الاستدلال بفعل النبي ﷺ والتجاءه إلى الاجتهاد والتعليل يشير إلى أن ترك النبي ﷺ للدعاء الجماعي لايدل على منعه أو كراهته، ولو كان فيه دلالة لاستدل به لأن الشريعة علمتهم حين تواجههم النوازل والوقائع أن يلتجؤ إلى القرآن أولا، فإن لم يجدوا فإلى السنة، فإن لم يجدوا فيها شيئا اتجهوا إلى الاجتهاد.

ثم إن العجب المتوقع يختفي عندما يكون الشئ عادة وعرفا، وقد قال الفقهاء: إن تغطية الوجه في الصلاة مكروهة لأنه يدل على الكبر. اللهم إلا إذا كان عادة البلد التنقب وتغطية الوجوه فلا يكره لإختفاء التعليل المذكور[4].

1) البخاري -الفتح- 2/ 480.
2) لأن الذكر كما جاء في الأحاديث المعتمدة يكون دبر الصلاة مباشرة وفعله ﷺ مبني على الوحي
3) بن ناجي على الرسالة201/1.
4) انظر زروق وابن ناجي على الرسالة 1 / 202 - 203.

ونستخلص من كل هذا أن دعاء الإمام بالناس بعد الصلاة جائز، ويرجى فيه القبول. وأن صفة العجب بالنفس من الأمور المستبعدة حينما يكون الدعاء إلفا وعادة، وأن أثر عمر لمن يتأمل فيه يفيد الإعتراف ضمنيا بجواز الدعاء إذا خلى من العجب والخيلاء.

عدم فعل السلف ليس دليلا على عدم الجواز:

يعترض بعض الناس على هذا الدعاء بأن السلف الصالح لم يفعله وهم أفضل الخلق عند الله فلو كان فيه الخير لفعلوه؛ لأنهم أحرص الناس على الخير كما قال الرسول ـ ﷺ ـ «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

والجواب عن الإعتراض ـ كما تقدم سابقا ـ بأن الحديث الذي يستدلون به لانص فيه على مايذهبون إليه، وإنما معناه أن الصحابة والتابعين وتابعيهم خير القرون في التمسك بمجموع ماظهر لهم من أوامر الشريعة سواء كانت الأوامر صريحة أم مستنبطة، فهم فيما ظهر لهم خير من القرن الذين بعدهم فيما ظهر لهم، وهكذا التابعون مع تابعيهم، وهكذا كل عام مع العام الذي بعده. وليس في الحديث دلالة على أن الصحابة والسلف لا يفوتهم شيء من الفهم في النصوص الدينية التي يعلمونها، كيف وقد قال رسول الله ـ ﷺ : «رب مبلغ أوعى من سامع» والمبلغ ـ بفتح اللام ـ في الحديث الشريف لا يقتصر على القرون الثلاثة الأولى بل هو عام في كل جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال المهلب: يؤخذ من الحديث أنه يأتي في آخر الزمان من يكون له من الفهم، والعلم ماليس لمن تقدمه وإن كان قليلا؛ لأن رب موضوعة للتقليل[1]. وقال ابن رشد: رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ومبلغ حديث إلى من هو أوعى منه[2]. وقال ابن خلدون: الفضل ليس منحصرا في المتقدمين وفضل الله يؤتيه من يشاء[3].

ونستنبط مما تقدم أن دعاء الإمام بالناس بعد الصلاة مشروع وجائز، وهو من المواطن التي يستجاب فيها الدعاء قيل للرسول ﷺ: أي الدعاء أسمع؟ قال:

1) نيل الأوطار 3 / 350 ـ 351.
2) البيان 1 ـ 31.
3) المقدمة 532.

((جوف الليل ودبر الصلوات المكتوبات)) (1)

وليس هناك مايعارضه من الأحاديث والآثار قولا أو فعلا . ورفع اليدين في الدعاء جائز ومشروع .قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: ((ان الله حي .كريم يستحي اذا رفع الرجل اليه يديه أن يردها صفراً خائبتين)) .رواه أبوداود والترمذي وحسنه واللفظ له. وابن ماجه ،وابن حبان في صحيحه.والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين(2). وخلاصة هذا البحث أن دعاء الأمام بالناس بعد الصلاة يتكون من المبادىء الآتية التي أقرتها الأحاديث النبوية الشريفة وهذه المبادىء هي :-

1 - جواز أن ينصب أحد من الناس نفسه للدعاء بالأخرين و روى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم دخل على رجل قد نصب نفسه للاقراء وللدعاء بالناس فرضي بفعله وحمد الله عليه(3) . ولوكان نصب الانسان نفسه للدعاء يجر الى الغرور لكان أولى بالمنع هذا الصحابي المقريء. لأن توقع الغرور بعد العلم أكثر من توقعه بعد الصلاة ، لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بما فيه الغرور بخلاف العلم فقد ينهى عنه وقد يزيد فيه .

2 - رفع اليدين في هذا الدعاء .

3 - توقع الاجابة فيه .

4 - عدم المعارضة له.

---

1 -حديث حسن /نيل الاوطار 345/2.

2 - الترغيب والترهيب للمنذري 48/2.

3 - الدر المنثور للسيوطي 241/4.

الفصل السابع

الاجتماع للذكر

الإجتماع للذكر

1 وردت كثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار في طلب الذكر. وتفضيله على كثير من العبادات. وفي جعله سببا لتفريج الهموم، والمدد بالأموال والبنين. ودفع البلاء؛ فهناك صيغ من قالها حفظه الله من الشيطان، ومن الضر. ومن لدغة العقرب، ومن أن يصيبه شئ يكرهه.

ومما استدل به على تفضيل الذكر على سائر العبادات أنه لم يرخص في تركه في حال من الأحوال؛ أخرج ابن جرير في تفسيره عن قتادة قال: افترض الله ذكره عند أشغل ما تكونون. عند الضرب بالسيوف[1]؛ فقال: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾[2].

2 ورغبت الشريعة الإسلامية في الإجتماع للذكر؛ فقد أخرج مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة سيارة وفضلا: يلتمسون مجالس الذكر الأرض، فإذا أتوا على مجلس ذكر حفّ بعضهم بعضا بأجنحتهم إلى السماء فيقول الله: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويهللونك. ويسألونك، ويستجيرون بك فيقول: ما يسألون؟ وهو أعلم بهم . فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا يارب. فيقول: فكيف لو رأوها؟ ثم يقول: ومم يستجيروني؟ وهو أعلم بهم ـ فيقولون من النار. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا فيقول: فكيف لو رأوها؟ ثم يقول: اشهدوا أني قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوني، وأجرتهم مما استجاروني. فيقولون: ربنا، إن فيهم عبدا خطاء جلس إليهم وليس منهم، فيقول: وهو أيضا قد غفرت له؛ هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[3].

ويستنبط من هذا الحديث:

أ) جواز الإجتماع للذكر

ب) تحقيق الأماني في هذا الإجتماع «وأعطيتهم ما سألوني». جاء عن عوف

1) فتح القدير 2 / 316.
2) الأنفال 46.
3) مسلم.

بن عبدالله - من كبار التابعين، - قال: كنا نأتي أم الدرداء فنذكر الله عندها، قال: فاتكأت ذات يوم فقيل لها: لعلنا أن نكون قد أمللناك يا أم الدرداء؟ فجلست، فقالت: أزعمتم أنكم قد أمللتموني؟ قد طلبت العبادة بكل شيء فما وجدت شيئا أشفى لصدري ولا أحرى أن أدرك ما أريد من مجالسة أهل الذكر[1].

ج) إن هذا الذكر سبب للغفران. أخرج احمد في الزهد عن ثابت البناني قال: إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام أمثال الجبال، وإنهم ليقومون من ذكر الله تعالى ما عليهم منها شيء[2].

د) إن هذا الذكر سبب للوقاية من النار.

هـ) تعدي بركة الإجتماع لمن حضر فيه ولو لم يكن من الذاكرين «هم القوم لا يشقى جليسهم».

3. أما فتوى الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى - بأن هذا الإجتماع لم يكن مشروعا قط فلا يصح أن يعبد الله به، واستدل بفتوى الحسن البصري التي سئل فيها عن قوم من أهل السنة والجماعة لا يطعنون على أحد، يجتمعون في بيت هذا يوما فيقرؤن كتاب الله، ويدعون الله، ويصلون على النبي - ﷺ - ثم يختمون بالدعاء لهم وللمسلمين؟ فنهاهم الحسن عن ذلك أشد النهي. قال الشاطبي: لأنه لم يكن من عمل الصحابة، ولا التابعين، وكل ما لم يكن عليه عمل السلف الصالح فليس من الدين؛ فقد كانوا أحرص على الخير من هؤلاء. ولو كان فيه خير لفعلوه «اليوم أكملت لكم دينكم» قال مالك بن أنس: فما لم يكن يومئذ دينا لم يكن اليوم دينا، وإنما يعبد الله بما شرع[3].

فهذه الفتوى تعارض الأحاديث الصحيحة كحديث مسلم السابق، وغيره التي جاء فيها الترغيب في مجالس الذكر كقوله ﷺ: «غنيمة مجالس الذكر الجنة»[4] وكل أحد أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب القبر الشريف كما قال الإمام مالك.

1) الحلية 4/ 241.
2) الحلوي 394.
3) المعيار للونشريسي 11 / 40.
4) رواه أحمد بإسناد حسن / الترغيب والترهيب 2 / 405.

والإجتماع للذكر كان معلوما عند الصحابة[1]؛ فقد أخرج الإمام أحمد في الزهد عن ثابت قال: كان سلمان في عصابة يذكرون الله فمر النبي - ﷺ فكفوا فقال: ماكنتم تقولون؟ قلنا: نذكر الله قال: إني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها ثم قال: «الحمد لله جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم».

وأخرج الطبراني وابن جرير عن عبدالرحمن بن سهل بن حنيف قال: نزلت على رسول ﷺ وهو في بعض أبياته «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي» الآية، فخرج يلتمسهم فوجد قوما يذكرون الله تعالى، منهم ثائر الرأس، وجاف الجلد، وذو الثوب الواحد. فلما رآهم جلس معهم وقال: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم»[2].

- وكراهية الحسن البصري وبعض التابعين الذين يستند إليهم الإمام مالك سببها - كما قال الشيخ أحمد المبارك - إن علاج الأشخاص يختلف بإختلاف الأوقات؛ فقد كان الصحابة - رضي الله عنهم قبل الإيمان على غاية البعد من الله، ونهاية الصد عن سبيله، يفتخرون بسفك الدماء، ونهب الأموال، ويراءون الناس بالأعمال ولا عمل من عملهم إلا وهو مدخول وبالعلة مردود ومعلول فلما أمنوا بنور الوجود، وعلم الشهود -ﷺ- صدهم عن الأمور الدنيوية وأقبل بهم على الله تعالى بالكلية، وصارت أعمالهم كلها أخروية، وتولى الله تأديبهم، وتطهيرهم، وتهذيبهم حتى لو كشف لأحدهم الغطا ما ازداد يقينا، وحتى صار بعضهم كأنه ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق، وحتى قال بعضهم: كأني انظر إلى عرش ربي وهو بارز، والناس في موقف الحساب. وحتى قال بعضهم: كأني انظر إلى أهل الجنة وهم يتزاورون وإلى أهل النار يتعاوون. فكأنهم -رضي الله عنهم- بين يديه تعالى في المحشر يعاينون الحساب والميزان مضروبا إلى الجنان فصفت منهم الظواهر والبواطن.

فالحالة الأولى عملهم. والحالة الثانية علاجهم.

1) انظر نفس المرجع السابق 2 / 403.
2) الحاوي للسيوطي 392 والدر المثور ك 4 - 241.

ولما انتهى الأمر إلى التابعين -رضي الله عنهم- ولم يصادفوا ذلك النور العام فاتهم من الإقبال على الله بقدر ما فاتهم من ذلك النور فصاروا يستكثرون من الأعمال الصالحة والأفعال الرابحة. ولكن دون بصيرة الصحابة -رضي الله عنهم-

فلما رأى الصحابة ذلك منهم جعلوا يعالجونهم وينبهونهم على ترك كل ما يقدح في كمال العبادة وترك كل مزاحم لعظيم ثوابها فأمروهم بإخفاء العبادة وكل ما يقطع مادة الرياء، والعمل لغير الله، وحرضوهم على الإخلاص لله تعالى، وعلى الزهد في الدنيا. ولذا لم يحفظ عنهم في الغالب[1] اجتماع للعبادة إلا فيما طلب فيه؛ وذلك لأن فائدة الإجتماع هو التعاون على العبادة؛ فينشط الضعيف، ويتحرك الكسلان، وهم كانوا أقوياء في طاعة الله؛ فمنهم من يحيي الليل، ومنهم من يصوم الدهر، وهكذا حالتهم. ولذا هربوا من الإجتماع لما خافوا من علله.

وهكذا يكون علاج كل قرن بحسب ما يقدح في عبوديتهم.

فأما زماننا -نسأل الله السلامة- فعلتهم هو ترك الطاعة، والهجران للعبادة، والإنهماك في الدنيا، غافلين عن أمور أخراهم حتى كأن الموت فرض على غيرهم، والنجيب من الناس الذي بلغ الغاية هو الذي يحافظ على الصلوات المكتوبة.

فهذه علة زماننا وعلاجها لايصح أن يكون مثل علاج التابعين فإن التوفيق لايقدر عليه إلا الصارم ومن شاخ في الطاعة وارتكب شاذها وفاذها، بل علاجها يكون بتهوين الحالة وترتيب المقال وكل ما يعين على الطاعة مما ليس بمعصية ينبغي تصويبه، ودلالة العوام عليه.

فمن أراد أن يمنع الناس اليوم من الإجتماع على الطاعة استدلالا بكلام الإمام مالك -رضي الله عنه- وقياسا على الصدر الأول من التابعين يقال له: هذا قياس مع وجود الفارق فهو قياس فاسد، واستدلال بارد[2].

وكيف يمنع وقد رغب فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في عدد كبير من الأحاديث التي سبق ذكر بعضها.

1) إنما قال في الغالب لأن الإجتماع قد جاء عن بعضهم كعون بن عبدالله وغيره وقد سبق الكلام عنه آنفا.

2) انظر مواهب الرحيم 76-78.

4 ـ ومن الأذكار التي أباحها الشيخ عبدالسلام الأسمر وسار عليها علماء التصوف، ذكر الله مفردا بقولهم: الله، الله. استنادا إلى حديث الذي رواه مسلم أن النبي -ﷺ- قال: «لا تقوم الساعة على أحد يقول الله، الله، وفي رواية أبي جعفر أنه -ﷺ- قال: «لاتقوم الساعة على أحد يقول لا إله إلا الله»[1] ووجه الدلالة إقراره -ﷺ- بالذكر المفرد والتسوية بينه وبين التهليل -لا إله إلا الله- في الدلالة على الذكر وعلى كلمة الإسلام يومئذ.

وقد قال ﷺ في حديث آخر: «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة»، أي إلى قرب القيامة فإن القيامة لاتقوم إلا على شرار الخلق كما بينه ﷺ في أحاديث أخرى[2]:

ـ ويجب هنا أن نجيب عن سؤالين يعترض بهما المعترضون وهما:

1 ـ إن هذا ذكر لم يحدده ﷺ، ولم يأت في أي من الصيغ المعروفة في الشريعة الإسلامية؛ فينبغي منعه؛ لأن التحديد لا يكون إلا منه ﷺ، والتحديد من غيره تشريع، والتشريع ليس إلا لله ولرسوله ﷺ.

2 ـ إذا كان في الحديث الذي تستدلون به الإشارة إلى جواز الذكر المفرد فكيف لم يتفطن له الصحابة، والتابعون، وتابعوهم وهم الذين قال فيهم الرسول ﷺ «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

والجواب عن السؤال الأول أننا لانسلم أن النبي ﷺ لم يحدده بل دل عليه وأرشد إليه في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم وقد سبق آنفا. ولو فرض جدلا أنه ﷺ لم يحدده فليس في هذا ما يضير؛ لأن التشريع الممنوع - كما قال الشيخ القطعاني - هو التشريع في الأصول والأحكام وما حد بحد كالزكاة، والصلاة، والصوم، والطهارة، وغيرها؛ فمن جعل الظهر ركعتين مثلا أو خمسا فقد أتى بتشريع زائد، وحكمه البطلان وقس عليه سائر أحكام الدين.

ولكن ماليس بتشريع زائد لا يصدق عليه هذا الحكم فلم يرد عن الشارع

1) انظر مسلم مع النووي 2/ 178.
2) النووي على مسلم 2/ 178.

مايمنع المسلم من أن يذكر ربه بما شاء مادام لايخرج عن تعظيمه، وتبجيله، وتسبيحه سبحانه، والإستغفار، والتوحيد، والصلاة على النبي ﷺ ؛ فعن رفاعة بن رافع الزرقي قال: كنا يوما نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه قال: «سمع الله لمن حمده» فقال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. فلما انصرف قال: «من المتكلم؟» قال: أنا. قال: «رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول».

ففي هذا الحديث الذي رواه البخاري لم يقل -ﷺ- لهذا الصحابي إنك قد أتيت بتشريع زائد، ولا إنك ابتدعت في الدين بل لم يزد على رد فيه البشرى[1].

أما السؤال الثاني فقد أجبت عنه في هذا الكتاب أكثر من مرة آخرها حين التحدث على دعاء الإمام بالناس بعد الصلاة.

5 ـ وجعل الصوفية لأتباعهم يومين يجتمعون فيهما للذكر، وقراءة ما يسمى بالوضيفة أو الحزب هما يوم الإثنين ويوم الخميس.

والسبب في اختيار هذين اليومين دون سائر الأيام هو حفاوة رسول الله -ﷺ- بهما، وحرصه على تأدية العبادة فيهما فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: «تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أي يعرض عملي وأنا صائم» حديث حسن غريب.

وعن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: «تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فمن مستغفر فيغفر له، ومن تائب فيتاب عليه، ويرد أهل الضغائن بضغائنهم حتى يتوبوا» رواه الطبراني ورواته ثقات[2].

ومشايخ الطريقة العروسية عندنا اليوم يجتمعون بعد صلاة العصر يوم الإثنين ويوم الجميس يقرءون وضيفة الشيخ عبدالسلام الأسمر التي سأذكرها في آخر هذا البحث.

ونقل صاحب مواهب الرحيم أن الشيخ عبدالسلام وقت لها ليلة الإثنين وليلة

1) الحجة 196.

2) انظر الترغيب الترهيب 2 / 124 ـ 125.

الجمعة[1] وليلة اليوم كيومه. وتأخيره لها يوم الخميس قد يكون سببه إما انشغاله بالمحاضرات إلى منتصف وقت العشاء. وإما اقتداء بيعقوب عليه السلام حينما طلب منه أبناؤه أن يستغفر لهم فقال: سوف أستغفر لكم ربي. فقال بعض المفسرين إنه أخرهم إلى ليلة الجمعة؛ لما أخرجه ابن جرير وأبوالشيخ عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ في قصه: هو قول أخي يعقوب لبنيه: سوف أستغفر لكم ربي. يقول حتى تأتي ليلة الجمعة[2]. فيكون لها مزية في استجابة الدعاء.

1) مواهب الرحيم 281.
2) فتح القدير 3 / 45 - 55.

الفصل الثامن

زيارة القبور

الزيارة:

دعت الشريعة الإسلامية إلى زيارة المقابر فقال ﷺ : كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها[1]

والقبور في الحديث لفظ عام يشمل القبور القليلة والكثيرة، القريبة والبعيدة، قبور الرجال، والنساء، والأطفال

وقوله ﷺ: لاتشد الرحال إلا لثلاثة مساجد معناه لاتشد الرحال إلى مسجد من المساجد للصلاة فيه غير هذه الثلاثة -المسجد الحرام، والمسجدالنبوي، والمسجد الأقصى لتساوي باقي المساجد في الفضل.

ولايدخل في هذا الحديث شد الرحال لطلب العلم او المال أو زيارة الصالحين والأقارب[2]؛ لأن الحديث وارد في المساجد لا يشمل غيرها لقوله ﷺ: لاينبغي للمطي أن تشد رحاله إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا[3].

2- وبينت فوائدها التي تعود على الزائرين، ومن هذه الفوائد:

أ) إصلاح القلوب قال ﷺ: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإنها تذكر الآخرة، وتزهد في الدنيا[4].

تناجيك أجداث وهن صموت — وسكانها تحت التراب خفوت

أيا جامع الدنيا لغير بلاغة — لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

ب) الحصول على الأجر العظيم

يتحصل الزائر للمقابر على الثواب والأجر الكبير؛ فقد أخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة قال: من دخل المقابر، واستغفر لأهل القبور، وترحم على الأموات فكأنما شهد جنائزهم والصلاة عليهم[5]

1) بلوغ المرام 116.
2) معيار الوزاني 2 / 21.
3) حديث حسن مجمع الزوائد 6/4.
4) بلوغ المرام 116.
5) شرح الصدور للسيوطي لوحة 89.

ولعل العبدوسي حينما قال: إن الزيارة ترفع الدرجات[1] كان مستند إلى هذا الأثر

ولهذا استحب في الزيارة زيارة الصالحين. قال الشيخ عبدالسلام الأسمر: وعليكم بزيارة قبور الأولياء والصالحين وإذا زرتموها فسلموا على أهلها، وادعوا لهم بالرحمة والمغفرة والأدعية المأثورة عن النبي ﷺ. وإذا أردتم أن تقضوا حاجة فقدموا لها الدعاء لتكونوا بالله لا بأنفسكم[2].

جـ) الاستقرار النفسي وزوال الخوف:

تعتبر الزيارة علاجا نافعا للإضطرابات النفسية وتوترات الأعصاب أخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة حدثني محمد بن عبدالعزيز بن محمد وغيره عن بكر بن محمد أنه لما كان أيام الحرة ترك الأذان في مسجد رسول الله -ﷺ- ثلاثة أيام وخرج الناس إلى الحرة، ثم جلس سعيد بن المسيب في المسجد، قال -أي سعيد- فاستوحشت ودنوت من قبر رسول الله-ﷺ- ثم سمعت الإقامة. ثم لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول الله -ﷺ- حتى مضت الثلاث. وأقبل القوم، ودخلوا المسجد، وعاد المؤذنون فأذنوا فتسمعت الأذان فلم أسمعه.

وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة[3]

والشاهد في هذا هو حصول الإستئناس، وزوال مظاهر القلق والخوف في القرب من قبور الصالحين.

د) الحصول على الخير

من فوائد الزيارة أنها سبب من أسباب زيادة الخير والكرامة للإنسان الزائر؛ فقد أخرج الحاكم عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولتزدكم زيارتها خيرا[4]. وكلمة الخير في الحديث كلمة مطلقة تشمل أنواع الخيور الكثيرة، سواء في النفس، أو الأهل، أو الولد.

ويقف الناس موقفين من أجل ابتغاء الخير في زيارة القبور:

1) معيار الوزاني 25/2.
2) مواهب الرحيم 272.
3) شرح الصدور لوحة 83.
4) المرجع السابق لوحة 9.

موقف يصدق هذا، ويعتقده، ويراه شيئا ملموسا يدركه. ويشعر به، وينصح الناس بناء على تجاربه وخبراته. ويصدقه الحديث الشريف السابق.

وعملية الإنتباه للأشياء وآثارها. وعملية الإستبطان كما يقول علماء النفس- لا توجد عند الجميع.

ب. موقف لا يصدق هذا ولا يعتقده؛ إما لأنه يعتقد أن الأموات لا ينفعون، وإما لأنه جرّب فلم يصح له شيء من هذا الذي يقولون.

وأهل الموقف الأول لا يزعمون أن الميت ينفع وإنما يعتقدون أنهم يؤدّون عبادة لله تسبب في وجود الخير كما يتسبب الإستغفار فيه في قوله تعالى: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفار يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنت ويجعل لكم أنهارا﴾[1]

والإنسان في الدعاء قد يرزقه الله عين مايطلب. وقد يعوضه بشيء آخر بدلا عنه، أو يدخر له ثوابه في الآخرة.

وإذا اعتقد الإنسان أن النافع والضار الحقيقي غير الله في أي عمل من الأعمال سواء كان زيارة أموات أو احترام رؤساء ومسؤلين فقد أشرك با لله.

﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير﴾[2].

والزيارة إذا كانت تسبب في وجود الشرك للإنسان فينهي عنها كما كان النبي ﷺ ينهي عنها في أول الأمر.

3. والزيارة بابها مفتوح في ليل أو نهار[3]، وأفضل أوقاتها يوم الجمعة؛ فقد أخرج الحاكم من حديث علي بن الحسين أن فاطمة كانت تزور قبرعمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده. حديث مرسل. وأخرج البيهقي في شعب الإيمان

1) نوح 10-12.
2) الأنعام 18.
3) معيار الوزاني 2 / 33

مرسلا: «من زار قبر الوالدين أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب باراً»[1].

وقد تقدم أن المالكية يقبلون الحديث المرسل.

- وتحديد الزيارة بيوم معين من السنة قد ورد فيه حديث أخرجه الصنعاني في كتابه المصنف عن رجل من أهل المدينة عن سهيل بن أبي صالح عن محمد بن إبراهيم التيمي قال: كان النبي -ﷺ- يأتي قبور الشهداء عند رأس الحول[2].

اختلاف العلماء في هذا الحديث:

اجتمع في هذا الحديث أمران: الإرسال (سقوط الصحابي) والإبهام أي عدم ذكر اسم الرجل الذي روى عنه الصنعاني. ولهذا اختلف العلماء فيه هل هو حديث مقبول أو ضعيف؟

رأي الأحناف:

يرى الأحناف أنه يقبل الحديث المرسل: لأن التابعين بأسرهم أجمعوا على قبوله ولم يأت عنهم إنكاره، ولا عن أحد من الأئمة بعدهم إلى رأس المائتين[3]. وكذلك الحديث الذي فيه مجهول لقوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا﴾ أي تثبتوا حيث أوجب الله التثبت في قبول الأخبار عند العلم بفسق الناقل لها. ويعني هذا أنه عند عدم العلم بفسقه لايجب التثبت ويجوز قبل خبره[4].

رأي غيرهم:

يرى غير الأحناف أن هذا الحديث ضعيف إما لإرساله وإبهامه وإما لإبهامه فقط[5] واختلف العلماء في العمل بالحديث الضعيف على ثلاثة مذاهب:

1 - المذهب الأول لايعمل به مطلقا؛ لا في الفضائل. ولا في الأحكام.

وهو مذهب يحيي بن معين، وابن العربي، وابن حزم.

2 - المذهب الثاني أنه يعمل بالحديث الضعيف مطلقا.

1) سبل السلام 2/ 115.
2) المصنف 3/ 573 - 574، وبقيته وكان أبو بكر وعمر، وعثمان يفعلون ذلك.
3) مقدمة ابن الصلاح مع الهامش 141.
4) شرح تنقيح الفصول للقرافي 364.
5) الأحاديث الواردة في فضائل المدينة 620، مقدمة ابن الصلاح 140 - 141

ونسب هذا أبي داود، والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأنهما يريان ذلك أقوى من رأي الرجال.

3. المذهب الثالث أنه يعمل به في الفضائل، والمواعظ ونحو ذلك إذا توفرت فيه الشروط الآتية:

أ) أن يكون الضعف غير شديد فيخرج من انفراد من الكذابين، والمتهمين بالكذب، ومن فحش غلطه.

ب) أن يندرج تحت أصل معمول به.

ج) أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الإحتياط[1].

. وإذا قلنا بجواز الزيارة في يوم معين من السنة كيوم العيد مثلا فيتحتم علينا أن لانعتقد أن لذلك اليوم مزية على غيره في الزيارة، قال الشيخ العبدوسي: إن كانت الزيارة في ذلك اليوم لتفرغه من أشغاله فلا بأس به، وقد نص عليه ابن رشد في جامع البيان في زيارة القرابة الأحياء في الأعياد، وكذلك الأموات. ولا فرق[2].

4 . والنساء إذا خرجن للزيارة فيشترط لهن الستر، وعدم التبرج قال الله تعالى: ﴿ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾[3]

ولو كان المكان خاليا من غيرهن فينبغي لهن الإستحياء من أصحاب القبور، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها فيما أخرجه أحمد والحاكم عنها: كنت أدخل البيت فأضع ثوبي وأقول: إنما هو أبي وزوجي. فلما دفن عمر معهم مادخلته إلا وأنا مشدودة على ثيابي؛ حياء من عمر[4].

والشيخ عبدالسلام قد أكد على الزيارة سواء كانت للأحياء أو الأموات ولكنه حذر منها إذا أدت إلى ممنوع شرعي يقول الشيخ: عليكم بالزيارة مادام خروجكم لايؤديكم إلى محرم أو مكروه مثل من يخرج للزيارةمع عدم رضي والديه، أو شيخه، أو يضر بعياله إذا خرج ولم يترك لهم مايكفيهم ولا من يتكفل بهم[5].

1) أصول الحديث 351.
2) معيار الوزاني 2/ 22.
3) الأحزاب 33.
4) شرح الصدور للسيوطي لوحة 80.
5) مواهب الرحيم 264.

الفصل التاسع

- مقتطفات من وصايا الشيخ

- الوضيفة

مقتطفات من وصايا الشيخ :

1 ـ عليكم بتعليم أولادكم القرآن. وعقائد الإيمان. والفرائض. والواجبات، والسنن المؤكدات. والفضائل المندوبات. وعلموهم الحذر من المحرمات، والمكروهات؛ فإن لهم عليكم حقا. وأكرموهم، وعلموهم الآداب الشرعية، وكل مايلزمهم مع الله تعالى. وعلموا أزواجكم وبناتكم ومما ليككم فرائض الغسل، والوضوء، والصلاة، والتيمم وكل مايجب عليهم. وعلموهم الآداب الشرعية؛ لأن لهم عليكم حقا شرعيا وكلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته.

وعليكم بسعة الخلق مع أزواجكم وأولادكم فإن ذلك من مكارم الأخلاق.

2 ـ وعليكم بالتواضع لجميع خلق الله بر وفاجرا إن كان تقيا تقتبسوا منه نورا وإن كان فاجرا ففجوره على نفسه. وتواضعوا ولاتتكبروا؛ فإن التواضع طبع الأولياء والتكبر طبع الشياطين.

3 ـ وعليكم بتعلم الأدب في كل فعل من الأفعال. والأقوال فمن لم يتأدب فأفعاله وأقواله على غير صواب.

والبركة في العلم. والعلم هو الأدب.

وإن صافحكم مسلم فتأدبوا معه وإن كان عاصيا وقلوبكم تلعنه. فمن لم يتأدب مع جميع المسلمين فقد أخطأ طريق الحق والصواب.

4 ـ اعلموا أن محبته ﷺ لاتصح إلا باتباع سنته. ومن أحبه وادعى محبته ولم يتبع طريقه فهو كاذب في محبته؛ لأن حقيقة المحب أن لايخالف محبوبه في شئ وإلا فليس بمحب فشرط المحبة طاعة المحبوب في كل شئ وإلا فلا عبرة بها.

5 ـ ويجب عليكم أن تعتقدوا في حق رسول الله ﷺ أنه لا يفضل عليه شئ لارسول ولاملك، ولاولي، ولاعالم، ولاجن، ولاإنس، ولاغيرذلك. بل هو أفضل من كل ماخلق الله عز وجل.

6 ـ وعليكم بمحبة أهل العلم فإنهم أصحاب النور في الدنيا والآخرة. ومنهم يخرج الحق، وبهم يدفع الباطل. ومحبتهم واجبة عليكم. فتأدبوا معهم غاية الأدب.

7 - وعليكم بالتواضع للوالدين والأدب معهم غاية الأدب ولاتعصوهم طرفة عين قط في شيء من الأشياء ولو كانوا عصاة إلا إن يامروكم بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وكذلك إذا كانوا كفار فلابد من التواضع لهم وإبرارهم، وكفرهم على أنفسهم.

بهذا أمركم الله ورسوله -ﷺ.

8 - وإياكم أن تفعلوا شيئا من الأفعال الدنيوية والأخروية لغرض من الأغراض فالذي عرف الله ودخل في طريقتنا هذه لا يفعل شيئا إلا لوجه الله تعالى.

9 - وإياكم ومخالطة أهل الهوى، والبدعة، والخوارق، والمستدرجين فإنكم لاتنالون منهم إلا الظلمة، والشك في الإعتقادات الجميلة فلا تخالطوهم ولاتقربوهم.

10 - وإياكم وصحبة الأراذل، والفساق ومن لا يوافقكم في[1] طريقكم فإنكم لاتنالون منه إلا العلة والعطلة، وفساد القلب، ومجالستهم تذهب الأنوار كما تذهب الشمس الجليد[2].

1) لعل في هنا بمعنى على.
2) انظر مواهب الرحيم 257 - 276.

وضيفة الشيخ عبدالسلام:

اعوذ با لله من الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الفاتحة "ثلاثا" والمعوذتين "ثلاثا".

سبحان الله والحمد لله والله أكبر، ولاحول ولاقوة إلا با لله العلي العظيم "ثلاثا".

فضلا من الله ونعمة. شكرا من الله ورحمة. الحمد لله على التوفيق ونستغفر الله في كل تقصير. غفرانك ربنا وإليك المصير نعم المولى ونعم النصير "ثلاثا".

سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب "ثلاثا".

سبحانك ماعبدناك حق عبادتك سبحانك ماعرفناك حق معرفتك ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي دائم لايموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير "ثلاثا".

ثم تقول: وإليه النشور مرة واحدة إن كنت في الصباح وإن كنت في المساء قلت وإليه المصير.

لا إله إلا الله الملك الحق المبين.

لا إله إلا الله الملك الحق المتين.

لا إله إلا الله الملك الحق اليقين.

لا إله إلا الله أرحم الراحمين.

لا إله إلا الله أكرم الأكرمين.

لا إله إلا الله حبيب التوابين.

لا إله إلا الله غياث المستغثين.

لا إله إلا الله أبدا حقا.

لا إله إلا الله إيمانا وصدقا.

لا إله إلا الله تلطفا ورفقا.

لا إله إلا الله تعبدا ورقا.

لا إله إلا الله القوي الجبار.

لا إله إلا الله الواحد القهار.

لا إله إلا الله الحليم الستار.

لا إله إلا الله العزيز الغفار.

لا إله إلا هو رب كل شيء.

لا إله إلا هو قبل كل شيء.

لا إله إلا هو بعد كل شيء.

لا إله إلا الله يبقى ربنا ونفنى ويموت كل شيء.

لا إله إلا الله المعبود في كل مكان.

لا إله إلا الله المذكور بكل لسان.

لا إله إلا الله المعروف بالإحسان.

لا إله إلا الله الحليم المنان.

لا إله إلا الله العزيز الرحمان.

لا إله إلا الله العظيم السلطان.

لا إله إلا هو كل يوم هو في شأن.

لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. لاشيء قبله، ولا شيء بعده.

لا إله إلا الله له النعمة وله الفضل، وله الثناء، وله الإحسان.

لا إله إلا الله لانعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

هو الأول والآخر، والظاهر، والباطن، وهو بكل شيء عليم.

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ثلاثا من حسبنا إلى النصير.

ثم تشرع في التهليل سبحة 100 حبة، لا إله إلا الله.

ثم تشرع في الذكر وهو الجلالة خاصة الله. الله، يذكره الإنسان مرفوعا بالمد إلى أن يقع في القلب نشاط وحضور ثم يذكره مجزوما بلامد حتى تظهرة الخمرة وهي السكر. والسكر هو الغيبة عما سوى الله[1].

أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمد رسول الله، ثلاثا.

اللهم أحينا عليها وأمتنا عليها وانفعنا بها عند الشدائد والحاجة إليها يارب العالمين يا الله. ،ثلاثا،.

اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء ولاتخالف بنا عن طريق الهدى يارب العالمين يا الله ،ثلاثا،.

ثم تدعو بما شئت سرا إن كنت وحدك وكذلك إن كانوا جماعة دعا بهم إمامهم وأكبرهم قدرا.

ثم بعد ختم الدعاء المذكور تقول جهرا:

أجب دعانا يامولانا أجب دعانا وارحمنا ياالله.

أجب دعانا يامولانا أجب دعانا واجبرنا ياالله.

أجب دعانا يامولانا أجب دعانا واسترنا ياالله.

أجب دعانا يامولانا أجب دعانا واحفظنا ياالله.

أجب دعانا يامولانا أجب دعانا ولاتفضحنا ياالله.

صلوات دائمات طيبات على محمد ،ثلاثا،.

سلام دائم طيب على محمد ،ثلاثا،.

1) الذكر هنا شرع للمبتدئين في الطريق وجعل مبدأ الإلحاح والتكرار وسيلة لرسوخ المعنى في القلب. ولأن الغيبة ضعف فينبغي هنا الوقوف وذكر الكلام الذي يتغلب به الإنسان على هذا الضعف. وقد سبق الكلام على هذا في فصل الوجد.

تحيات زاكيات طيبات على محمد «ثلاثا».

يا ذا الجلال والإكرام يا الله اختم لنا بالإسلام يا الله «ثلاثا».

يا ذا الجلال والإكرام والعزة القاهرة ثبتنا بالقول الثابت في الدنيا والآخرة «ثلاثا».

آمين آمين آمين يارب العالمين «ثلاثا».

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

ثم الفاتحة «ثلاثا».

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ مرة.

اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك، ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما «ثلاثا».

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين[1].

فرغت من كتابة هذا الكتاب صبيحة يوم السبت 26/ 11/ 1994م عند الساعة العاشرة ببلاد تاجوراء التي هي من ضواحي طرابلس بليبيا.

وأدعوا الله سبحانه وتعالى أن ينفعني به يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم وأن ينفع به كل من قرأه أو دعا إليه أو له إنه سميع مجيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

1) انظر مواهب الرحيم 285 ـ 287.

الفهارس

فهرس المراجع

فهرس المواضيع

فهرس المراجع

1. القرآن الكريم

2. كتب الحديث:

3. أصول الحديث علومه ومصطلحه للدكتور محمد عجاج الخطيب ط الرابعة 1981 دار الفكر للطباعة.

4. بلوغ المرام من أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر العسقلاني دار الفكر.

5. الترغيب والترهيب للحافظ زكي الدين المنذري دار الكتب العلمية بيروت

6. الترمذي مع العارضة للحافظ ابن العربي المالكي دار الباز للطباعة والنشر.

7. التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي المكتب الإسلامي.

8. سبل السلام للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني دار إحياء التراث العربي بيروت.

9. شرح الصدور بشرح حال الموت والقبور للحافظ جلال الدين السيوطي مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 47621 وهو تحت التحقيق.

10. صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند لمحمد ناصر الدين الألباني مكتب التربية العربي لدول الخليج.

11. الأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمعا ودراسة للدكتور صالح بن حامد الرفاعي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أولى 1992.

12. البخاري مع فتح الباري لابن حجر العسقلاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

13. المصنف للحافظ عبد الرزاق الصنعاني المجلس العلمي ط أولى 1971.

14. الفتح الرباني على مسند الإمام أحمد بن حنبل.

15. محمد رسول الله ﷺ شمائله الحميدة وخصاله المجيدة عبد الله سراج الدين.

16. مسلم بشرح النووي المطبعة المصرية.

17. النسائي مع شرح جلال الدين السيوطي دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

18. نيل الأوطار للشوكاني مع منتقى الأخبار ط أخيرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

19. كتب أخرى:

20. تاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد مطبعة السعادة ط أولى.

21. حاشية العدوي على الرسالة مع كفاية الطالب الرباني مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1938.

22. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني مطبعة السعادة بمصر 1935.

23. دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب للدكتور محمد جلال شرف دار النهضة العربية بيروت 1980

24. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ جلال الدين السيوطي مطبعة الأنوار المحمدية.

25. رحلة الحشائشي إلى ليبيا لمحمد بن عثمان الحشائشي تحقيق علي مصطفى المصراتي دار لبنان للطباعة والنشر ط أولى 1965.

26. الروح لابن قيم الجوزية دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

27. سيكلوجية اللعب تأليف الدكتور سوزانا ميلر ترجمة الدكتور حسن عيسى إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت.

28. شرح ابن ناجي على الرسالة لقاسم بن عيسى التنوخي مطبعة الجمالية بمصر 1914.

29. شرح زروق على الرسالة مطبعة الجمالية بمصر 1914.

30. الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي لأحمد الدردير دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

31. الطبقات الكبرى لابن سعد دار الفكر 1985.

32. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير لمحمد الشوكاني دار المعرفة للطبعة بيروت لبنان.

33. الإبداع في مضار الإبتداع للشيخ علي محفوظ عضو هيئة كبار العلماء ط خامسة دار الكتاب العربي بمصر.

34. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة لأبي الوليد بن رشد ط أولى 1987 دار الغرب الإسلامي.

35. الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون للحافظ للحافظ جلال الدين السيوطي دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

36. الحجة المؤتاة في الرد على صاحب كتاب في التصوف يا عباد الله لأحمد سالم القطعاني درنة ليبيا 1991م

37. الفتاوي الكبرى الفقهية لابن حجر المكي الهيتمي ومعها هامش الرملي ملتزم الطبع والنشر عبدالحميد أحمد حنفي.

38. الفروق للقرافي مع تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية لمحمد بن علي بن الشيخ حسين مفتي المالكية مطبعة دار إحياء الكتب العربية ط أولى 1346.

39. القطب الأنور عبدالسلام الأسمر للشيخ أحمد القطعاني الناشر حسن الخراز وحمدي عبدالفتاح 1993.

40. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف للحافظ زين الدين بن رجب.
41. المدخل لابن الحاج ط أولى 1960 مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
42. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي تأليف احمد المقري الفيومي المطبعة الأميرية ببولاق مصر 1906.
43. المعيار للوزاني الحسني وهو مكتوب كتابة حجرية.
44. المعيار للونشريسي أحمد بن يحي دار الغرب الإسلامي بيروت
45. المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب لأحمد النائب منشورات مكتبة الفرجاني بطرابلس.
46. مجموع فتاوي ابن تيمية دار رعام الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع.
47. مختار القاموس للأستاذ الطاهر أحمد الزاوي ط أولى 1964 مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
48. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
49. مراسم الجنازة في الشريعة الإسلامية دفاع عن عاداتنا الإجتماعية في مناسبات المآتم للمؤلف وهو لايزال ينتظر الطبع.
50. مقدمة ابن خلدون مكتبة المثنى بغداد.
51. مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصطلاح تحقيق عائشة عبدالرحمن مطبعة دار الكتب 1974.
52. مواهب الرحيم في مناقب مولانا الشيخ عبدالسلام بن سليم وهو مختصر من تنقيح الأزهار للبرموني تلميذ الشيخ محمد بن محمد بن عمر بن مخلوف طبع على ذمة الشيخ السيد الحاج صالح العسلي التاجر الكتبي بحاضرة تونس 1325هـ.
53. نهاية السوك مع شرح البدخشي جمال الدين عبدالرحيم الأسنوي مطبعة محمد علي صبيح.

فهرس المواضيع

الفصل الثالث

رأيه في الأموات

الفصل الرابع

فداء الميت

الفصل التاسع

الفهارس